مُناظرات ابن تيميَّة

مع فقهاءِ عصْرِه

الدكتور سيّد الجميّلي

شركة الشهاب
الجزائر

مناظرات ابن تيمية

مع فقهاء عصره

تأليف

الدكتور السيد الجميلي



دار الشهاب للطباعة والنشر - عمار قرفي - المنطقة الصناعية - حي كشيدة - ص ب : 61 باتنة ●
الهاتف : 55.79.55 ● 55.79.54 ○ تلكس : 8991

مناظرات ابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لا بد منها

كلنا أهل القبلة موحدون ، وما اختلفنا فيه بعضنا مع البعض الآخر من مسائل في الفروع أو الأصول إنما هي مجال بحث ودراسة وتمحيص يناط به إظهار الحجة ومقارنة الأدلة ، وهذا هو دأب العلماء وأولي الفضل، ونحن نرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إليه دائماً وهو المستعان على كل خير .

والله غالب على أمره

المقدمة

إن الحمد لله رب العالمين ، وحده لا شريك له ، وأصلي وأسلم على خير خلقك ، وأكرم رسلك وأعظم أنبيائك محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد .

فإني أؤثر قبل كل شيء وقبل أي شيء أن أوضح وأجلو أمراً بالغ الأهمية ألا وهو أننا لا نحمل على شخص ، ولا طائفة معينة بذاتها ولا نرجو ذلك ولا نتمناه، إنما هي مناقشة أفكار ودراسة آراء وإبداء وجهات نظر، قد يضيق بها البعض كما قد يغبط بها آخرون ، والرائد كما قال سيدنا رسول الله ﷺ لا يكذب أهله .

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من كبار أئمة الدين ومن عظام فقهائه الذين نافحوا عن الدين وذبوا عن التوحيد وأثروا الفقه الإسلامي بالعطاء الجزل والفهم القويم .

وقد كانت الخصومة بينه وبين أعدائه ضارية حامية الوطيس لم يخب سعيرها لحظة حتى لقى الرجل ربه ولقوا ربهم أجمعون وقد أفضوا إلى ما قدموا .

ونحن لا نضم صوتنا لفريق دون فريق إلاَّ بحجة وبرهان ودليل واقتناع فليس أحب إلى نفوسنا من الحق والعدل والصواب ونحن لا نقدس أشخاصاً كما

لا نعترض على أشخاص بذواتهم إنما التعصب للفكر، والتحزب على الفكر، عن علم وهدى وبصيرة، لأن التعصب الأعمى لا يصدر إلا من الجهل العظيم الذي نـربأ بأنفسنا عنه كما لا نرضاه لأحد من أهل القبلة الموحدين.

وليس ابن تيمية، ولا ابن القيم ولا أحدٌ ممن سبقهم أو خلفهم يستطيع أن يدعى العصمة لنفسه، فمن ادعى ذلك فقد ورَّط نفسه في حماقة الغرور التي يدين إليها فساد الملكات الإنسانية الخيرة من قديم الزمان.

ولو أن أحداً من السلف أو الخلف خالف صريح النص القرآني أو السنة الصحيحة المأثورة عن سيدنا رسول الله ﷺ، فنحن أبرياء منه بل في حل من رأيه ومذهبه، وقد برئت ذمة الله منه.

والحكمة ضالة المؤمن، وبها تتطهر النفس البشرية من أوضار ورجس الشيطان ونزواته التي ينزو بها على الفطرة البريئة الموحدة في نفس الإنسان فيفسد عليها استقامتها وعبوديتها.

والذي ينشد الحكمة في غير كتاب الله ضالٌ مضلٌ مبتدعٌ دعيٌ كذابٌ أشرٌ لا يقبل الله منه عدلاً ولا صرفاً، كذلك الذي يتتبع سقطات العلماء فهو عطل من الفضيلة عارٍ من الخلق القويم، لأن عورات المسلمين منوطة بالكتمان وعلى الله قصد السبيل وهو يتولى السرائر، حتى لا يظنن ظان أننا نعمد إلى إثارة حرب فكرية بين أنصار السلف وأهل الإبتداع إنما التعويل كله على بيان الحجج والبراهين ومقارنة الأدلة، والمقيم على عقيدة لا يطيق تغييرها إلَّا بإرادة الله سبحانه وتعالى في الخير له، وفي يقيني أن الإنسان لا يبدأ بعيش الفضيلة إلَّا عندما يبدأ محاسبة نفسه وتوبيخها على إسرافها في الأمر وتقصيرها في جنب الله.

والذي أحب بيانه أننا لسنا ممن يستثمرون اللحى، ولا يتناحرون على الغانية ولا يرمون إلى سلطان زائل إنما مرادنا هو مرضاة الحق جل شأنه، ودحر الجهل الذي ران على كثير من القلوب ولولاه لصلح أمر كثير من الناس المخطئون.

ولا جرم أن عنصر الخير موجود في أمة رسول الله ﷺ والفضيلة حرية بأن

تجمع أصحابها وذويها على المحبة والتواد والتراحم لأنها من قيم الإسلام ، وكثير من إخواني وأصدقائي ابتلاهم الله في نفوسهم وأهليهم وأموالهم فزالت نعمهم لكن لم تزل مروءاتهم التي ظلوا عليها مقيمين وبها مطمئنين ، ويحمل الكل على أهل الفضل . أجل . وفي هذه الدراسة نروي ونحقق ما ورد بين شيخ الإسلام ابن تيمية ونظرائه وشانئيه من مناظرات ومحاورات ومجالس من واقع مراجع التاريخ الشهيرة كالبداية والنهاية أو تاريخ ابن كثير، وتاريخ الطبري ومجموع الفتاوي وغيرها من المصادر العريقة المعتمدة .

فلقد استهوتني هذه المناظرات لما فيها من علم وفضل وفقه وتجربة وجدل ومحاورة ومقارعة ومناوشة ، فلما أحسست بالمتعة مضاعفة ، رأيت أن أنقل هذه المتعة إلى قرائي الأعزاء لعلي أظفر بدعوة بظهر الغيب لقاء ما بذلته في جمع شتات هذه المجالس والمناظرات التاريخية ، وما صبرت عليه من جهد في الشرح والتعليق .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنبنا السوء وأن يصرفنا إلى طاعته ، وأن يحبب الخير إلينا ويحببنا فيه ، وأن يقينا شر نفوسنا وأن يجمعنا بالصالحين في دار المقامة ، إنه على كل فضل وخير مستعان ، وله الحمد في الأولى والآخرة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين؟ .

القاهرة في أكتوبر سنة ١٩٨٤م.   **السيد الجميلي**

المحرم سنة ١٤٠٥ هـ.

المناظرة التاريخية الجليلة

بين ابن تيمية وابن عطاء الله السكندري رحمهما الله

هذه المناظرة التاريخية جليلة القدر عظيمة القيمة بين الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية كبير أعلام السلف المتمسكين بالكتاب والسنة والإجماع ، وبين الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندري وهو بدوره من كبار علماء ورجال التصوف الذين طبقت شهرتهم الآفاق وقد مارس التصوف عن وعي وعلم وبصيرة .

وهذه المناظرة ذات قيمة تاريخية ، وذات أهمية علمية وفقهية لأنها بين علمين كبيرين ، وهي تتناول مواضيع في غاية الحيوية تمس عقيدة الإسلام ، وهي تناقش قضية التصوف وما تصل بها من فروع ومسائل مثل التوسل ، وموقف كل من الشيخين من الشيخ محيي الدين بن عربي .

وقد تحدث عن هذه المناظرة وأمثالها من مناظرات ومجالس ابن تيمية كثير من الأئمة والمؤرخين مثل ابن كثير والعديد من العلماء الذين أرّخوا لكبار الأئمة .

وقد نقلها من المحدثين الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي ، ونقلتها منه أيضاً مجلة المسلم الصادرة عن العشيرة المحمدية بالقاهرة «العدد ٤ ، ٥» الصادر في ٢٠ من اغسطس ١٩٨٢م . الموافق غرة ذي القعدة سنة ١٤٠٢هـ (السنة الثالثة والثلاثون) .

وقد حدثت هذه المناظرة التاريخية في عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون[1]. لما أن نفى الشيخ ابن تيمية إلى الإسكندرية، وكان قد ألف حياة السجن حيث قضى فيه أغلب أوقات عمره وشبابه ، حتى أنه كان يجد فيه متعة نفسية طيبة فقال قولته الشهيرة (حبسي خلوة وقتلي شهادة ، ونفيي سياحة) فوجىء الإمام الفقيه المناضل المعذب بغتة بالعفو عنه ، فجاء إلى القاهرة ، ثم ذهب ليصلي المغرب بالأزهر خلف الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندري .

وكما قلنا سلفاً أن الفضيلة تجمع أصحابها على المحبة والمودة والتآلف والتراحم ، مهما بلغت درجات الاختلاف ووجهات النظر ، فإن القدماء والمحدثين متفقون جميعاً على أن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية .

وبالنقاء والصفاء النفسي بعيداً عن السخائم والإحن تتطهر النفوس من حوبها وأوضارها ، وإني لأطمئن إلى الحكمة (أن أختلف مع ألف عالم خير لي وأطيب من الإختلاف مع جهول واحد) وعداوة الجاهل خير من صداقته .

وبعد صلاة المغرب ، فوجىء ابن عطاء الله بالشيخ أحمد بن تيمية يصلي خلفه ، فهش له ، واغتبط به ، وهنأه بسلامة الوصول .

ثم قال له ابن عطاء الله : ـ « ألفتُ أن أصلي المغرب في جامع مولانا الحسين ، وأصلي العشاء هنا ، فانظر تقدير الله . . قدر لي أن أكون أول من يلقاك . . . أعاتب أنت عليَّ يا فقيه؟ .

فقال ابن تيمية : ـ أعرف أنك ما تعمدت إيذائي ، ولكنه الخلاف في الرأي ، على أنَّ كلَّ من آذاني فهو منذ اليوم في حل مني » .

قال ابن عطاء الله : « ماذا تعرف عني يا شيخ ابن تيمية » ؟ .

قال : أعرف عنك الورع ، وغزارة العلم ، وحدة الذهن ، وصدق القول ، وأشهد أني ما رأيت مثلك في مصر ولا في الشام حباً لله أو فناء فيه ، أو انصياعاً لأوامره ونواهيه ، ولكنه الخلاف في الرأي ، فماذا تعرف عني أنت ؟ هل تدعي عليَّ بالضلال إذ أنكر استغاثة غير الله؟ .

---

(١) الملك ناصر الدين محمد ١٢٨٥ ـ ١٣٤١ ابن السلطان قلاوون تاسع المماليك البحريين .

قال ابن عطاء الله السكندري : أما آن لك يا فقيه أن تعرف أن الاستغاثة هي الوسيلة والشفاعة ، وأن الرسول ﷺ يستغاث ويتوسل به ويستشفع؟ .

قال ابن تيمية : أنا في هذه أتبع السنة الشريفة ، فقد جاء في الحديث الصحيح (أعطيت الشفاعة) وقد أجمعت الآثار في تفسير الآية الشريفة: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾[1] على أن المقام المحمود هو الشفاعة .

والرسول ﷺ لما ماتت أم أمير المؤمنين علي رضي الله عنهما ، دعا لها الله على قبرها :

« الله الذي يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها مدخلها ، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين » فهذه هي الشفاعة ، أما الاستغاثة ففيها شبهة الشرك بالله تعالى .

وقد أمر الرسول ابن عمه عبد الله بن العباس ألا يستعين بغير الله .

قال ابن عطاء الله : أصلحك الله يا فقيه ، أما نصيحة الرسول ﷺ لابن عباس فقد أراد منه أن يتقرب إلى الله بعلمه لا بقرابته من الرسول وأما فهمك أن الاستغاثة استعانة بغير الله فهي شرك ، فمن من المسلمين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ورسوله يحسب أن غيره تعالى يقضي ، ويقدر ، ويثيب ويعاقب؟! .

فإنما هي ألفاظ لا تؤخذ على ظاهرها ولا خوف من الشرك لنسد إليه الذريعة ، فكل من استغاث الرسول ﷺ ، فهو إنما يستشفع به عند الله مثلما تقول أنت أشبعني هذا الطعام ، فهل الطعام هو الذي أشبعك أم أن الله تعالى هو الذي أشبعك بالطعام ؟ .

---

(١) الإسراء (٧٩/١٩) والمقام المحمود الذي يحمده ﷺ فيه الأولون والآخرون هو مقام الشفاعة العظمى ، يقول المفسرون (عسى) في كلام الله سبحانه وتعالى للتحقيق، لأنه وعد الكريم ولأن وعد الكريم محقق فهو لا يتخلف ولا بد من تحقيقه . قال ابن عباس رضي الله عنهما : عسى من الله واجبة تفيد القطع. راجع صفوة التفاسير للشيخ الصابوني (٧٦٨/١٥) بتصرف .

وأما قولك أن الله نهانا أن ندعو غيره ، فهل رأيت من المسلمين أحداً يدعو غير الله؟ .

إنما نزلت هذه الآية في المشركين الذين كانوا يدعون آلهتهم من دون الله ، إنما يستغيث المسلمون محمداً ﷺ بمعنى التوسل بحقه عند الله ، والتشفع بما رزقه الله من شفاعة ، أما تحريمك الاستغاثة لأنها ذريعة إلى الشرك ، فإنك كمن أفتى بتحريم العنب لأنه ذريعة إلى الخمر ، ونخصي الذكور غير المتزوجين سداً للذريعة إلى الزنا . وضحك الشيخان!!!

واستطرد ابن عطاء الله ، وأنا أعلم ما في مذهب شيخكم الإمام أحمد من سعة ، وما لنظرك الفقهي من إحاطة ، وسد الذرائع يتعين على من هو في مثل حذقك ، وحدة ذهنك ، وعلمك باللغة أن يبحث عن المعاني المكنونة الخفية ، وراء ظاهر الكلمات ، فالمعنى الصوفي روح ، والكلمة جسد ، فاستقصى ما وراء الجسد ، لتدرك حقيقة الروح .

ثم استطرد ابن عطاء الله يقول : ثم إنك اعتمدت في حكمك على ابن عربي ، على نصوص قد دسها عليه خصومه ، وأما شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام فإنه لما فهم كتابات الشيخ ، وحل رموزها وأسرارها ، وأدرك إيحاءاتها استغفر الله عما سلف منه ، وأقر بأن محيي الدين بن عربي إمام من أئمة الإسلام .

وأما كلام الشاذلي ضد ابن عربي فليس أبو الحسن الشاذلي هو الذي قاله ، بل أحد تلاميذه من الشاذلية ، وهو ما قاله في الشيخ ابن عربي، بل قاله في بعض المريدين الذين فهموا كلامه على غير وجهه .

وسأل ابن عطاء الله مرة أخرى : وما رأيك في الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ؟ .

أجاب ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه : في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » .

هو المجاهد الذي لم يبارز أحداً إلاَّ غلبه ، فسن للعلماء والفقهاء من بعده أن يجاهدوا باللسان والقلم والسيف جميعاً في سبيل الله .

وكان كرّم الله وجهه أقضى الصحابة ، وكلماته سراج منير أستضيء به في حياتي بعد الكتاب والسنّة : (وآه من قلة الزاد وطول السفر ووحشة الطريق!) .

فقال ابن عطاء الله : فهل يسأل أمير المؤمنين الإمام علي كرّم الله وجهه عن بعض من شايعوه ، فقالوا : أن جبريل أخطأ ، فجاء بالرسالة محمداً ﷺ بدلاً من علي؟ أو عن الذين زعموا أن الله حل في جسده، فصار الإمام إلهاً، ألم يقاتلهم؟! ويقتلهم؟! أما أفتى بقتلهم أينما ثقفوا؟! .

قال ابن تيمية : «وبهذه الفتوى خرجت لقتالهم في الجبل بالشام منذ أكثر من عشرة أعوام » .

قال ابن عطاء الله : والإمام أحمد رضي الله عنه : أيسأل عما فعله بعض أتباعه، من كبس الدور، وإراقة الخمور، وضرب المغنيات والراقصات واعتراض الناس في الطرقات باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أفما أفتى رضي الله عنه بتعزير هؤلاء فجُلدوا وسُجنوا وطيف بهم مقلوبين على ظهور الحمير ، أم هل الإمام أحمد رضي الله عنه مسؤول عن تلك الأعمال التي ما زال أراذل الحنابلة يأتونها حتى يومنا هذا باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فالشيخ محيي الدين بن عربي بريء مما يصنعه أتباعه من إسقاط التكاليف الدينية ، واقتراف المحرمات ، أترى هذا .

قال ابن تيمية : ولكن أين تذهبون من الله وفيكم من يزعم أنه ﷺ بشّر الفقراء بأنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء، فسقط الفقراء منجذبين ، ومزقوا ملابسهم، وعندئذ نزل جبريل وقال للنبي ﷺ إن الله تعالى يطلب حظه من هذه المزق فحمل جبريل واحدة منها، وعلقها على عرشه تعالى، ولهذا يلبسْ الصوفية المرقعات ويسمون أنفسهم الفقراء.

قال ابن عطاء الله: ما كل الصوفية يلبسون الخرق ، وهأنذا أمامك فما تنكر من هيئتي؟!.

قال ابن تيمية : أنت من رجال الشريعة ، وصاحب حلقة في الأزهر .

* * *

قال ابن عطاء الله : والغزالي كان إماماً في الشريعة والتصوف على السواء وقد عالج الأحكام والسنن والشريعة بروح المتصوف وبهذا المنهاج استطاع إحياء علوم الدين .

نحن نُعلم الصوفية أن القذارة ليست من الدين ، وأن النظافة من الإيمان ، وأن الصوفي الصادق يجب أن يعمر قلبه بالإيمان الذي يعرفه أهل السنة .

لقد ظهر بين الصوفية منذ قرنين من الزمان ، أشياء كالتي تنكرها الآن واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ، وركضوا في ميدان الغفلات... وادعوا أنهم تحرروا من رق الغفلات والأغلال، ثم لم يروضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال كما وصفهم القشيري الإمام الصوفي العظيم فوجه إليهم الرسالة القشيرية ، ترسم طريق الصوفي إلى الله ، وهي تمسكه بالكتاب والسنة . إن أئمة الصوفية يريدون الوصول إلى الحقيقة ، ليس فقط بالأدلة العقلية التي تقبل العكس بل بصفاء القلب ورياضة النفس ، وطرح الهموم الدنيوية ، فلا ينشغل العبد بحب غير الله ورسوله .

وهذا الانشغال السامي، يجعله عبداً صالحاً ، جديراً بعمارة الأرض ، وإصلاح ما أفسده حب المال والحرص على الجاه والجهاد في سبيل الله .

* * *

وقال ابن عطاء الله : إن الأخذ بظاهر المعنى يوقع في الغلط أحياناً يا فقيه ، ومن هذا رأيك في ابن عربي، وهو إمام ورع من أئمة الدين، فقد فهمت

ما كتبه على ظاهره ، والصوفية أصحاب إشارات وشطحات روحية ولكلماتهم أسرار .

قال ابن تيمية: هذا الكلام عليك لا لك .

فالقشيري[1] لما رأي أتباعه يضلون الطريق قام عليهم ليصلحهم ، فماذا فعل شيوخ الصوفية في زماننا؟؟!!.

إنما أريد من الصوفية أن يسيروا على سنة هذا السلف العظيم من زهاد الصحابة ، والتابعين وتابعيهم بإحسان ، إني أقدر من يفعل منهم ذلك وأراه من أئمة الدين .

أما الابتداع ، وإدخال أفكار الوثنيين من متفلسفة اليونان ، وبوذية الهند ، كادعاء الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، ونحو ذلك مما يدعو إليه صاحبك فهذا هو الكفر المبين .

* * *

قال ابن عطاء الله رضي الله عنه : ابن عربي[2] رضي الله عنه كان أكبر فقهاء الظاهر بعد ابن حزم[3] الفقيه الأندلسي المقرب إليكم يا معشر الحنابلة. كان ابن عربي ظاهرياً ، ولكنه يسلك إلى الحقيقة طريق الباطن ، أي تطهير الباطن!! وليس كل أهل الباطن سواء!!.

---

(١) القشيري : هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، زين الاسلام ؛ شيخ خراسان في عصره، زهداً وعلماً أقام بنيسابور وتوفي فيها سنة ٤٦٥ هـ . راجع تاريخ بغداد (٨٣/١١) وطبقات السبكي (٢٤٣/٣ - ٢٤٨) ووفيات الأعيان (٢٩٩/١).

(٢) ابن عربي: هو محمد بن علي بن محمد بن العربي أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر وهو صاحب الفتوحات المكية ، فصوص الحكم وصاحب نظرية الحلول والاتحاد وهو إمام يجله الصوفية ويعتبرونه من الأقطاب والأولياء الخلصاء وقد كفره ابن تيمية ورماه بالزندقة. توفي سنة ٦٣٨ هـ .
ميزان الاعتدال (١٠٨/٣) فوات الوفيات (٢٤١/٢) ومفتاح السعادة (١٨٧/١) ولسان الميزان (٣١١/٥) وجامع كرامات الأولياء (١١٨/١).

(٣) ابن حزم: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ وتوفي في بادية (لبلة) من بلاد الأندلس سنة =

ولكيلا تضل أو تنسى أعد قراءة ابن عربي بفهم جديد لرموزه ، وإيحاءاته تجده مثل القشيري ، قد اتخذ طريقه إلى التصوف في ظل ظليل من الكتاب والسنة ، إنه مثل حجة الإسلام الشيخ الغزالي[1] يحمل على الخلافات المذهبية في العقائد والعبادات ، ويعتبرها انشغالاً بما لا جدوى منه ، ويدعو إلى أن محبة الله هي طريقة العابد في الإيمان فماذا تنكر من هذا يا فقيه؟. أم أنك تحب الجدل الذي يمزق أهل الفقه، لقد كان الإمام مالك رضي الله عنه يحذر من الجدل في العقائد، ويقول: (كلما جاء رجل أجدل من رجل نقص الدين) .

قال الغزالي: « اعلم أن الساعي إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ، ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس ، بل هو سرٌّ من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس » .

إن أهل السنة هم الذين لقبوا الغزالي - شيخ المتصوفة - بحجة الإسلام، ولا معقب على آرائه، فقد غالى بعضهم في تقدير كتابه إحياء علوم الدين فقال: - « كاد الإحياء أن يكون قرآناً » .

* * *

إن أداء التكاليف الشرعية في رأي ابن عربي، وابن الفارض، عبادة محرابها الباطن، لا شعائر ظاهرية ، فما جدوى قيامك وقعودك في الصلاة إذا

= ٤٥٦ هـ حيث لجأ إليها طريداً من ملوك وسلاطين الأندلس ، حيث اتهمه فقهاء عصره وعلماته بالادعاء عليه لأنه تناولهم وانتقدهم فاستطالوا عليه وسعوا بالفتن والمؤامرات عليه. وقد خلف ابن حزم نحواً من أربعمائة مجلد وهو ما يقع في قرابة ثمانين ألف ورقة .
نفح الطيب (١/٣٦٤) ولسان الميزان (٤/١٩٨) ووفيات الأعيان لابن خلكان (١/٣٤٠) واللباب (١/٢٩٧).

(١) الغزالي: هو محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، فيلسوف المتصوفة، وإمام الباطنية، لقِّب حجة الإسلام، له نحو مائتي مصنف ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفي سنة ٥٠٥ هـ بالطابران (قصبة طوس بخراسان) ورحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز ثم بلاد الشام ثم مصر، ثم عاد أخيراً إلى بلدته وتوفي فيها رحمه الله .
وفيات الأعيان (١/٤٦٣) وطبقات الشافعية (٤/١٠١) ومفتاح السعادة (٢/١٩١ - ٢١٠) وآداب اللغة (٣/٩٧).

كنت مشغول القلب بغير الله؟! . مدح الله تعالى أقواماً بقوله تعالى ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾[1] وذم أقواماً بقوله: ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾[2] وهذا هو الذي يعنيه ابن عربي بقوله إن التعبد محرابه القلب أي الباطن لا الظاهر .

إن المسلم لا يستطيع أن يصل إلى إدراك علم اليقين ، وعين اليقين ، إلا إذا أفرغ قلبه مما يشوش عليه من أطماع الحياة الدنيا ، وركز في التأمل الباطني فغمرته فيوض الحقيقة ، ومن هنا تنبع قوته .

* * *

الصوفي الحق ـ كما يقول ابن عطاء الله ـ ليس هو الذي يستجدي قوته ، ويتكفف الناس، إنما هو الصادق الذي يهب روحه وقلبه ، ويغني في الله بطاعة الله ، ومن هنا تنبع قوته ، فلا يخاف غير الله .

ولعل ابن عربي قد أثار عليه بعض الفقهاء لأنه أزرى على اهتمامهم بالجدل في العقائد ، مما يشوش على صفاء القلب، ثم في وقوع الفقه وافتراضاته فأسماهم (فقهاء الحيض) وأعيذك بالله أن تكون منهم .

ألم تقرأ قول ابن عربي (من يبني إيمانه بالبراهين والاستدلالات فقط لا يمكن الوثوق بإيمانه ، فهو يتأثر بالاعتراضات ، فاليقين لا يستنبط بأدلة العقل إنما يعترف من أعماق القلب).

ألم تقرأ هذا الكلام الصافي العذب قط؟!!

---

(١) المؤمنون (٢٣/٢).
قال ابن عباس عن قوله تعالى ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ أي خائفون ساكنون، متذللون في صلاتهم لجلال الله وعظمته لاستيلاء الهيبة على قلوبهم.

(٢) الماعون (١٠٧/٥) لما نزلت هذه الآية قال ابن عباس: الحمد لله الذي قال «عن صلاتهم» ولم يقل «في صلاتهم» فما من أحد إلا وهو يسهو في الصلاة. وقال المفسرون إنه تعالى لما قال (عن صلاتهم) علم أنها في المنافقين .
راجع الفخر الرازي الكبير (٣١/١٦٢) بتصرف وكذلك الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢١١) ط. دار الكتب.

قال ابن تيمية : أحسنت والله ـ إن كان صاحبك كما تقول فهو أبعد الناس عن الكفر ، ولكن كلامه لا يحمل على هذه المعاني فيما أرى .

قال ابن عطاء الله : إن له لغة خاصة ، وهي مليئة بالإشارات والرموز والإيحاءات ، والأسرار والشطحات .

ولكن فلنشتغل بما هو أجدى ، وبما يحقق مصلحة الأمة فلنشتغل بدفع الظلم ، وحماية العدل المنتهك ، أرأيت ما فعله بيبرس وسلار بالرعية منذ خلع الناصر نفسه ، فانفرد بالحكم ، وإن عاد السلطان الناصر وهو يؤثرك على كل الفقهاء . ويستمع لك فأسرع إليه وانصح له .

ابن مطهر[1] وابن تيمية يتحاوران

قال تعالى: - ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ والعالم حرى بأن يتصف بالفضل لا سيما مع خلق الله ، ولا سيما مع الخاصة منهم الذين أنعمِ الله عليهم بالعلم والفقه والفهم ، ومن آداب المحاورة أن يحترم القرن مناوئاً له مهما احتدمت حدة الجدل، وإن أصعب شيء على الحر أن يسكت على خطأ، وصاحب الحق مدفوع ، إنما يجب أن يملك نفسه ويضبط سورة غضبه .

---

(١) وهذه الشذرات مختارة من كتاب (المنتقى) للحافظ الذهبي رحمه الله، وقد انفرد بنشرها في كتيب صغير (محمد مال الله) تحت عنوان (مطارق النور تبدد أوهام الشيعة) من سلسلة (ما أنا عليه وأصحابي) ط. دار الأنصار بالقاهرة. فنقلنا منها ما تسير بتصريف وحذف وزيادات بعد المراجعة على الأصل.

وابن مطهر: هو الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي جمال الدين يعرف بالعلامة، وهو شيخ الروافض ومن أئمة الشيعة وأكبر علمائها، وكان من سكان الحلة (بالعراق) وتوفي سنة ٧٢٦ هـ .

راجع روضات الجنات (٢/٥) والدرر الكامنة (٢/٧١) وفيه اسمه الحسين وقيل اسمه الحسن، والنجوم الزاهرة (٩/٢٦٧).

وله تصانيف كثيرة تربو على مائة وعشرين مجلداً، وعدتها خمس وخمسون مصنفاً، وله مجلدان في أصول الفقه، وله كتاب (منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة، خلط فيه بين المعقول والمنقول، وخرج عن طريق الاستقامة بغير وعي ، وقد انتدب ابن تيمية للرد عليه في مجلدات يقول عنها ابن كثير في تاريخه المشهور [أتى فيها ابن تيمية بما يبهر العقول من الأشياء المليحة الحسنة] ثم يقول بعد ذلك ابن كثير عن ابن مطهر [ابن مطهر الذي لم تطهر خلائقه ولم يتطهر من دنس الرفض] البداية والنهاية (١٤/١٢٥).

وفي مناظرة ابن تيمية مع ابن مطهر عونٌ أي عون على عمق التحاور في فقه وأدب واحتشام وإن لم يتصف بذلك أهل العلم فمن يكون أولى به منهم ؟؟!!.

قال ابن مطهر : الإمامة هي أهم المطالب في أحكام الدين ، والتي يحصل بسبب إدراكها نيل درجة الكرامة ، وهي أحد أركان الإيمان المستحق بسببه للخلود في الجنان . فقد قال رسول الله ﷺ : - « من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية » .

ابن تيمية : ان الإمامة (أهم المطالب) كذب بالإجماع إذ الإيمان أهم ، فمن المعلوم بالضرورة أن الكفار على عهد النبي ﷺ كانوا إذا أسلموا أجري عليهم أحكام الإسلام ولم تذكر لهم الإمامة بحال فكيف تكون أهم المطالب؟.

أم كيف يكون الإيمان بإمامة محمد بن الحسن المنتظر من أربعمائة ونيف وستين سنة ليخرج من سرداب سامراء أهم من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه؟.

وإن كان ما بأيديكم كافياً في الدين فلا حاجة إلى المنتظر ، وإن لم يكن كافياً ، فقد أقررتم بالنقص والشقاء حيث كانت سعادتكم موقوفة على أمر آمر لا تعلمون بماذا أمر؟.

وقولك «إن الإمامة أحد أركان الدين» جهل وبهتان فإن النبي ﷺ فسر الإيمان وشعبه ، ولم يذكر (الإمامة) في أركانه، ولا جاء ذلك في القرآن .

وأما قولك في الحديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» فنقول: من روى هذا؟ وأين إسناده؟ بل والله ما قاله الرسول ﷺ هكذا.

ثم لو صح الحديث الذي أوردته لكان عليكم لا لكم ، فمن منكم يعرف

إمام الزمان أو رآه أو رأى من رآه، أو حفظ عنه مسألة؟. بل تدعون إلى صبي - ابن ثلاث أو خمس سنين - دخل سرداباً من أربعمائة وستين عاماً، ولم ير له عين ولا أثر، ولا سمع حس ولا خبر، وإنما أمرنا بطاعة أئمة موجودين معلومين لهم سلطان، وأن نطيعهم في المعروف دون المنكر.

ابن مطهر : إن الله تعالى نصب أولياء معصومين لئلا يخلي العالم من لطفه.

ابن تيمية : أنتم تقولون : إن الأئمة المعصومين مقهورون مظلومون عاجزون ، ليس لهم سلطان ولا قدرة حتى أنكم تقولون ذلك في علي رضي الله عنه منذ مات النبي ﷺ إلى أن استخلف ، وفي الاثني عشر ، وتقرون أن الله تعالى ما مكنهم ولا ملكهم وقد قال الله تعالى ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾[1].

فإن قيل: المراد بنصبهم انه قد أوجب عليهم طاعتهم فإذا أطاعوهم هدوهم ، ولكن الخلق عصوهم.

فيقال: لم يحصل - مجرد ذلك - في العالم لا لطف ولا رحمة ، بل حصل تكذيب الناس لهم ومعصيتهم إياهم والمنتظر ما انتفع به من أقر به ولا من جحده.

وأما سائر الاثني عشر - سوى علي رضي الله عنه - فكانت المنفعة بأحدهم كالمنفعة بأمثاله من أئمة الدين والعلم ، وأما المنفعة المطلوبة من أولي الأمر فلم تحصل بهم. فتبين أن ما ذكرته من اللطف تلبيس وكذب.

ابن مطهر : أخذ المعصومون عن جدهم.

---

(١) النساء (٤/٥٤).

ابن تيمية : إنما تعلموا حديث جدهم من العلماء ، وهذا متواتر، فعلي بن الحسين ، يروي عن أبان بن عثمان عن أسامة بن زيد ، ومحمد بن علي يروى عن جابر وغيره ، وما فيهم من أدرك النبي ﷺ إلاَّ علي وولداه .

وهذا علي يقول : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فوالله لأن آخر من السماء إلى الأرض، أحب إلى من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة. ولهذا كان يقول القول ويرجع عنه ، وكتب الشيعة مملوءة بالروايات المختلفة عن الأئمة .

ابن مطهر : إننا ننتقل بذلك ونتناقله خلفاً عن سلف إلى أن تتصل الرواية بأحد المعصومين .

ابن تيمية : إن كان ما تقول حقاً فالنقل عن المعصوم الواحد كاف . فأي حاجة في كل زمان إلى معصوم؟ وإذا كان النقل كافياً فأنتم في نقصان وجهل من أربعمائة وستين سنة .

ثم الكذب من الرافضة على هؤلاء يتجاوزون به الحد، لا سيما على جعفر الصادق حتى كذبوا عليه كتاب الجفر ، والبطاقة ، وكتاب اختلاج الأعضاء، وأحكام الرعود والبروق، ومنافع القرآن ، فكيف يثق القلب بنقل من كثر منهم الكذب ، إن لم يعلم صدق الناقل ، واتصال السند ، وقد تعدى شرهم إلى غيرهم من أهل الكوفة ، وأهل العراق حتى كان أهل المدينة يتوقون أحاديثهم ، وكان مالك يقول: نزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أحاديث أهل الكتاب لا تصدقوهم ولا تكذبوهم . والرافضة أكذب من كل طائفة باتفاق أهل المعرفة بأحوال الرجال .

ابن مطهر : إنهم أخذوا مذهبهم عن المعصومين .

ابن تيمية : لا تسلم أنكم أخذتم مذهبكم عن أهل البيت ، فإنكم

تخالفون علياً ـ رضي الله عنه ـ وأئمة أهل بيته في الأصول والفروع : فإنهم يثبتون الصفات ، والقدر ، وخلافة الثلاثة رضي الله عنهم ، وفضلهم إلى غير ذلك. وليس لكم أسانيد متصلة حتى ننظر فيها ، والكذب فمتوفر عندكم ، فإن ادعوا تواتر نص هذا على هذا ، ونص هذا على هذا كان معارضاً بدعوى غيرهم مثل هذا التواتر ، فإن سائر القائلين بالنص إذا ادعوا مثل هذه الدعوى لم يكن بين الدعويين فرق ، ثم هم محتاجون في مذهبهم إلى مقدمتين :

إحداهما : عصمة من يضيفون المذهب إليه .

والثاني : ثبوت ذلك النقل عنه .

وكلاهما لا دليل لهم عليه .

ابن مطهر : أهل السنّة لم يلتفتوا إلى القول بالرأي والاجتهاد وحرموا القياس .

ابن تيمية : الشيعة في ذا كالسنة : فيهم أهل رأي وفيهم أهل قياس ، وفي السُّنة من لا يرى ذلك .

والمعتزلة البغداديون لا يقولون بالقياس، وخلق من المحدثين يذمون القياس، وأيضاً فالقول بالرأي والقياس خير من الأخذ بما ينقله من عرف بالكذب ، نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم .

ولا ريب أن الاجتهاد في تحقيق الأئمة الكبار لمناط الأحكام وتنقيحها وتخريجها خيرٌ من التمسك بنقل الرافضة عن العسكريين ، فإن مالك والليث والأوزاعي والثوري وأبا حنيفة والشافعي وأحمد وأمثالهم رضي الله عنهم أعلم من العسكريين بدين الله تعالى، والواجب على مثل العسكريين أن يتعلموا من الواحد من هؤلاء . . . ومن المعلوم أن علي بن الحسين وأبا جعفر ، وجعفر بن محمد كانوا هم العلماء الفضلاء وأن من بعدهم لم يعرف عنه من العلم ما عرف

عن هؤلاء ومع هذا فكانوا يتعلمون من علماء زمانهم ، ويرجعون إليهم .

ابن مطهر : أهل السنة لم يثبتوا العدل والحكمة .

ابن تيمية : هذا نقل باطل عنهم من وجهين :

إحداهما : أن كثيراً من أهل النظر الذين ينكرون النص يثبتون العدل والحكمة ، كالمعتزلة ومن وافقهم ، ثم سائر أهل السُّنة ما فيهم من يقول إنه تعالى ليس بحكيم ، ولا أنه يفعل قبيحاً ، فليس في المسلمين من يتكلم بإطلاق هذا إلاَّ حل دمه .

ابن مطهر : أهل السُّنة يقولون إن الله يفعل الظلم والعبث .

ابن تيمية : إن هذا القول لم يقل به مسلم . تعالى الله عن ذلك . بل يقولون خلق أفعال العبادة ـ إذا قال ﴿ هو خالق كل شيء ﴾ التي هي من فاعلها لا هي ظلماً من خالقها . كما أنه إذا خلق عبادتهم وحجهم وصومهم لم يكن هو حاجاً ولا صائماً ولا عابداً ، وكذا إذا خلق جوعه لم يسمى جائعاً . فالله تعالى إذا خلق في محل صفة أو فعلاً لم يتصف هو بتلك الصفة ، ولا بذلك الفعل ، ولو كان كذلك لا تصف بكل ما خلقه من الأعراض .

ابن مطهر : إنهم يقولون ـ أي أهل السُّنة ـ إن المطيع لا يستحق ثوابه والعاصي لا يستحق العقاب ، بل قد يعذب النبي ، ويرحم إبليس .

ابن تيميـة : هذه فرية أخرى على أهل السُّنة ، وما فيهم من يقول : إنه يعذب نبياً ، ولا أنه يثيب إبليس ، بل قالوا يجوز أن يعفو عن المذنب ، وأن يخرج أهل الكبائر من النار، فلا يخلد فيها أهل التوحيد أحداً . وأما الاستحقاق فهم يقولون : إن العبد لا يستحق بنفسه على الله شيء .

ويقولون إنه لا بد أن يثيب المطيعين كما وعد فإن الله تعالى لا يخلف وعده .

وأما إيجاب ذلك على نفسه ، وإمكان معرفة ذلك بالعقل فهذا فيه نزاع ، لكن لو قدر أنه عذب من يشاء لم يكن لأحد منعه كما قال تعالى: ﴿ كل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ، ومن في الأرض جميعاً ﴾[1] .

وهوَ تعالى لو ناقش من ناقشه من خلقه لعذب كما قال عليه السلام « من نوقش الحساب عُذِّب »[2] وقال ﷺ : « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله[3] ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلَّا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » .

والتحقيق أن قدر أن الله تعالى عذب أحداً فلا يعذبه إلَّا بحق لأنه يتعالى عن الظلم .

ابن مطهر : أهل السُّنة يقولون إن النبي ﷺ لم ينص على إمامة أحد ، وأنه مات عن غير وصية .

ابن تيمية : هذا ليس في قول جميعهم ، بل ذهب من أهل السُّنة جماعة ، أن إمامة أبي بكر رضي الله عنه ثبتت بالنص .

قال ابن حامد : الدليل على إثبات خلافة الصديق رضي الله عنه بالنص ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم قال: « أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها

---

(١) المائدة (١٧/٥).

(٢) الحديث متفق عليه عن عائشة مرفوعاً، وعند الطبراني عن ابن الزبير «من نوقش الحساب هلك» وأورده العجلوني في كشف الخفا (٣٩٢/٢) ط. دار التراث بمصر.

قالت السيدة عائشة للنبي ﷺ : إنك دائماً تكثر من الدعاء «اللهم حاسبني حساباً يسيراً» فقال عليه الصلاة والسلام : ـ « إنما ذلك العرض » وما من عبد يناقش يومئذ إلا هلك » أو بنحوه.

(٣) وهذا يدعونا على العمل الصالح والمسارعة للمغفرة والتوبة، ودعاء الله سبحانه وتعالى أن يتجاوز عنا وأن يصفح عن مسيئنا .

أن ترجع إليه ، فقالت : أرأيت إن جئت ولم أجدك ؟ كأنها تريد الموت ـ قال : إن لم تجديني فآتي أبا بكر » .

ابن مطهر : إنهم يقولون إن الأنبياء غير معصومين .

ابن تيمية : باطل ، بل اتفقوا على عصمتهم فيما يبلغونه ، وهو مقصود الرسالة . وهم منزهون عن كل ما يقدح في نبوتهم .

ابن مطهر : لا يجوز على الأنبياء سهو .

ابن تيمية : لا أعلم أحداً قاله .

ابن مطهر : ذهبت الأشاعرة إلى أن الله يرى بالعين ، مع أنه مجرد عن الجهات ، وقد قال الله تعالى: ـ ﴿لا تدركه الأبصار﴾

ابن تيمية : أما رؤيته في الآخرة بالأبصار فهو قول السلف والأئمة ، وتواترت به الأحاديث. ثم جمهور القائلين بالرؤية ، يقولون يرى عياناً مواجهة كما هو المعروف بالعقل .

قال عليه السلام: «إنكم سترون ربكم عز وجل يوم القيامة كما ترون الشمس ، لا تضامون في رؤيته»[1] وفي لفظ « هل تضارون في رؤية الشمس

---

(١) وقد ورد هذا الحديث في كتاب السنة لابن أبي عاصم الشيباني برواياته المختلفة وقام بتخريجها الشيخ الألباني، ومن رواياته: عن جرير قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه، كما ترون هذا القمر، لا تضارون في رؤيته» وقال الألباني «إسناده صحيح على شرط الشيخين» اهـ. وقد أخرجه مسلم (٢/١١٤) وأخرجه أبو داود (٤٧٢٩) والترمذي (٢/٩٠) وابن ماجة (١٧٧) وأحمد (٤/٣٦٥) والآجري (ص ٢٥٨).
وفي رواية عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة أنه أخبره أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ : ـ « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ فقالوا: لا يا رسول الله فقال: هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ فقالوا: لا يا رسول الله، قال: أما إنكم ترونه هكذا يوم القيامة» وإسناده حسن صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين ، غير محمد بن عثمان صدوق يخطىء، وأخرجه البخاري (٤/٤٦١) ومسلم (١/١١٢).

صحواً ليس دونها سحاب » قالوا : لا ، قال : « فهل تضارون في رؤية القمر صحواً ليس دونه سحاب؟ » قالوا : لا . « فإنكم ترون ربكم ، كما ترون الشمس والقمر » .

ابن مطهر : هم يرون القول بالقياس والرأي ، فأدخلوا في دين الله ما ليس منه ، وحرفوا أحكام الشريعة .

ابن تيمية : إن هذا وارد عليكم ، فالزيدية تقول بالقياس ثم القياس خيرٌ من تقليد من يبلغ في العلم مبلغ المجتهدين كمالك والثوري والشافعي وأحمد ، وهم أعلم وأفقه من العسكريين .

وقولك : « أدخلوا في دين الله ما ليس منه وحرفوا أحكام الشريعة » فهذا ليس في طائفة أكثر من الرافضة ، فإنهم كذبوا على الرسول ﷺ ما لم يكذبه غيرهم ، وردوا من الصدق ما لا يحصى ، وحرفوا حيث قالوا : « مرج البحرين »[1] علي وفاطمة ، « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان »[2] هما الحسن والحسين ، « في إمام مبين »[3] علي ، عمران العالمين) ﴿ وآل أبي طالب وسموا أبا طالب عمران .

(والشجرة الملعونة)[4] بنو أمية و (أن تذبحوا بقرة)[5] عائشة رضي الله

---

(١) الرحمن (١٩/٥٥) ويقصد بالبحرين البحر المالح والبحر العذب يلتقيان ولا يمتزجان.
(٢) الرحمن (٢٢/٥٥) يقول الإمام محمود شكري الألوسي رحمه الله : ـ « اللؤلؤ صغار الدر، والمرجان كباره ، وهذا من قول ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنه يقول: أن المرجان هو الخرز الأحمر» روح المعاني (١٠٦/٢٧) بتصرف.
(٣) يس (١٢/٣٦) والمقصود بالإمام المبين هو الكتاب المسطور وهو صحائف الأعمال، وهو الشاهد على الإنسان بالخير والشر. وقد قال قتادة ومجاهد: هو اللوح المحفوظ، راجع صفوة التفاسير (١١٨٢/٢٢) بتصرف.
(٤) الإسراء (٦٠/١٧).
وقد ورد أنه لما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم، كذبوا ذلك حتى قال أبو جهل متهكماً: هاتوا لنا تمراً وزبداً وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول: تزقموا، فلا نعلم الزقوم غير هذا. مختصر ابن كثير بتصرف (٣٨٦/٢).
(٥) البقرة (٦٧/٢).

عنها . «لئن أشركت ليحبطن عملك» لئن أشركت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ونحو ذلك مما وجدته في كتبهم ، ومن ثم دخلت الإسماعيلية في تأويلات الواجبات والمحرمات ، فهم أئمة التحريف .

ابن مطهر : إن الإمامية جازمون بحصول النجاة لهم ولأئمتهم قاطعون بذلك وأهل السُّنة لا يجزمون بذلك .

ابن تيمية : إن كان اتباع أئمتكم الذين تدعى لهم الطاعة المطلقة صواباً وأن ذلك يوجب لهم النجاة ، كان أتباع خلفاء بني أمة مصيبين لأنهم كانوا يعتقدون أن طاعة الأئمة واجبة في كل شيء ، وأن الإمام لا يؤاخذه الله سبحانه وتعالى بذنب ، وأنهم لا ذنب لهم فيما أطاعوا فيه الإمام . بل أولئك أولى بالحجة من الشيعة لأنهم كانوا مطيعين أئمة أقامهم الله ونصبهم وأيدهم وملكهم ، ولهذا حصل لأتباع خلفاء بني أمية من المصلحة في دينهم ودنياهم أعظم مما حصل لأتباع المنتظر .

وإن أهل السُّنة يجزمون بحصول النجاة لأئمتهم أعظم من جزم الرافضة وذلك أن أئمتهم بعد النبي ﷺ هم السابقون من المهاجرين والأنصار، وهم جازمون بحصول النجاة لهؤلاء ، ويشهدون بأن العشرة المبشرة في الجنة ، ويشهدون أن الله تعالى قال لأهل بدر : إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، ويقولون أنه لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ ، فهؤلاء أكثر من ألف وأربعمائة إمام لأهل السُّنة يشهدون أنه لا يدخل النار فيهم أحد ، وهي شهادة بعلم كما دل على ذلك الكتاب والسُّنة بخلاف الرافضة فإنهم إن شهدوا ، شهدوا بما لا يعلمون ، وشهدوا بالزور الذي يعلمون إنه كذب ، وهم كما قال الشافعي رضي الله عنه : «ما رأيت قوماً أشهد بالزور من الرافضة» .

ابن مطهر : يجعلو مفتقراً في كونه عالماً ، إلى ثبوت معنى هو العلم .

ابن تيمية : هذا يرد على مثبتة الحال ، وأما الجمهور فعندهم كونه عالماً هو العلم ، وبتقدير أن يقال كونه عالماً مفتقر إلى العلم الذي هو لازم لذاته ليس

في هذا إثبات فقر له إلى غير ذاته ، فإن ذاته مستلزمة للعلم . والعلم مستلزم لكونه عالماً ، فذاته هي الموجبة لهذا ، فالعلم كمال ، وكونه عالماً كمال، فإذا أوجبت ذاته هذا وهذا كان كما لو أوجبت الحياة والقدرة .

ابن مطهر : لم يجعلوه عالماً لذاته ، قادراً لذاته .

ابن تيمية : إن أردت أنهم لم يجعلوه عالماً قادراً لذات مجردة عن العلم والقدرة كما يقول نفاة الصفات أنه ذات مجردة عن الصفات فهذا حق، لأن الذات المجردة عن العلم والقدرة لا حقيقة لها في الخارج ولا هي الله، وإن أردت أنهم لم يجعلوه عالماً قادراً لذاته المستلزمة للعلم والقدرة ، فهذا غلط عليهم، بل نفس ذاته الموجبة لعلمه وقدرته هي التي أوجبت كونه عالماً قادراً، وأوجبت علمه وقدرته، فإن هذه الأمور متلازمة .

ابن مطهر : جعلوه محتاجاً ناقصاً في ذاته كاملاً بغيره .

ابن تيمية : كلام باطل ، فإنه هو الذات الموصوفة بالصفات اللازمة لها . وما في الخارج ذات مجردة عن صفات ، وليست صفات الله غير الله .

ابن مطهر : ذهب بعضهم إلى أن الله ينزل كل ليلة جمعة بشكل أمرد راكباً على حمار ، حتى أن بعضهم ببغداد وضع على سطحه معفا يضع فيه شعيراً كل ليلة جمعة ، لجواز أن ينزل الله سبحانه وتعالى على سطحه فيشتغل الحمار بالأكل ، ويشتغل الرب بالنداء . هل من تائب؟ .

ابن تيمية : هذا كذب وأمثاله أو ربما وقع لجاهل مغمور ، ليس بقول عالم ولا معروف ، وقد صان الله تعالى علماء السُّنة بل وعامتهم من قول هذا الهذيان الذي لا ينطلي على الصبيان . ثم لم يروا في ذلك شيئاً ، لا بإسناد ضعيف ولا بإسناد مكذوب ، ولا قال أحد أنه تعالى ينزل ليلة الجمعة إلى الأرض ولا أنه في شكل أمرد .

وما أكثر الكذب في العالم ، ولكن تسعة أعشاره أو أقل أو أكثر بأيدي الرافضة .

وأما أحاديث النزول إلى السماء الدنيا فمتواترة ، وحديث دنوه عشية عرفه فأخرجه مسلم ، ولا نعلم كيف ينزل ، ولا كيف استوى .

ابن مطهر : إن العبد لا تأثير له في الكفر ولا المعاصي .

ابن تيمية : تقول باطل ، بل جمهور من أثبت القدر يقول أن العبد فاعل بفعله حقيقة ، وإن له قدرة واستطاعة . ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية ، بل يقرون بما دلَّ عليه الشرع والعقل من أن الله تعالى يخلق السحاب بالرياح ، وينزل الماء بالسحاب ، وينبت النبات بالماء، والله خالق السبب والمسبب، ومع أنه خالق السبب فلا بد له من سبب آخر يشاركه ، ولا بد له من معارض يمنعه ، فلا يتم أثره ـ مع خلق الله تعالى له ـ إلاَّ بأن يخلق الله تعالى السبب الآخر ويزيل الموانع، ولكن ما قلته هو قول الأشعري ومن وافقه، لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع ، ويقولون : قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل .

وأبلغ من ذلك قول الأشعري : إن الله فاعل فعل العبد وإن فعل العبد ليس فعله بل كسب له ، وإنما هو فعل الله تعالى فقط. وجمهور الناس والسُّنة على خلاف قوله ، وعلى أن العبد فاعل لفعله حقيقة .

ابن مطهر : ـ أباحوا البنت من الزنا ، وسقوط الحد على من نكح أمه وأخته عالماً بالتحريم ، وعن اللائط . وإلحاق نسب المشرقية بالمغربي ، فإذا زوج ابنته وهي في المشرق برجل هو وأبوها في المغرب ، ولم يفارقه لحظة حتى مضت له ستة أشهر فولدت البنت ألحق المولود بالرجل . وإباحة النبيذ والوضوء به مع مشاركته الخمر في الإسكار . والصلاة في جلد الكلب، وأوجبوا الحد على الزاني إذا كذب الشهود، وأسقطوه إذا صدقهم ، فأسقطوا الحد مع الاجتماع والبينة ، وأباحوا أكل الكلب ، واللواط بالعبيد، وأباحوا الملاهي .

ابن تيمية : ما من مسألة من هذه المسائل إلاَّ وجمهور السُّنة على خلافها . وأنتم يوجد فيكم ـ معشر الرافضة ـ أما اتفاقاً وأما اختلافاً أضعاف ذلك، كترك الجمعة والجماعة وتعطلون المساجد ، وتعمرون المشاهد التي على القبور، كما صنف منكم (المفيد) كتاباً سماه (مناسك حج المشاهد) وفيه الكذب والشرك ،

ومنها تأخير صلاة المغرب ، وتحريم ذبائح الكتابيين وتحريم نوع من السمك ، وتحريم بعضهم لحوم الإبل ، وجعلهم الميراث كله للبنت دون العم ، وصوم بعضهم بالعدد لا بالأهلة ، وإحلال المتعة ، فأما المخلوق من الزنا فمفرد الشافعي رضي الله عنه، ولم يكن أحمد بن حنبل رضي الله عنه يظن فيها خلافاً بحيث أنه أفتى بقتل من يفعل ذلك. وأما عقده على ذوات المحارم فأبو حنيفة رضي الله عنه جعل ذلك شبهة لدرء الحد لوجود صورة العقد، وأكثر السلف يقتلون اللائط. وقيل ذلك إجماع الصحابة. وسقط الحد من مفردات أبي حنيفة رضي الله عنه ، وكذا إلحاق ولد المشرقية بالذي بالمغرب ، وعنده أن النسب يقصد به الميراث ثم يا رافضي منذ ساعة كنت تنكر القياس ، وهنا تحتج به على أبي حنيفة رضي الله عنه .

وتقول في النبيذ مع مشاركته للخمر في الإسكار ، فهلا احتججت بالنص (كل مسكر خمر، وكل خمر حرام)[1]؟.

وأما الحد مع الشهود فمأخذ أبي حنيفة رضي الله عنه ، أنه أقر سقط حكم الشهادة ، ولا يأخذ بالإقرار إلاَّ أربع مرات . وأما الجمهور فيقولون الإقرار يؤكد حكم الشهادة ، وأما اللواط بالعبيد ، فكذب ما قاله ، وكأنه قد قصد التشنيع والأئمة رضي الله عنهم متفقون من استحل المماليك يكفر .

ابن مطهر : وأحدثوا مذاهب أربعة ، وأهملوا أقاويل الصحابة .

ابن تيمية : متى كانت مخالفة الصحابة منكراً عندكم ؟ ومن الذي يخالف إجماع الصحابة ، نحن أو أنتم؟ ومن الذي كفرهم وضللهم؟ إن أهل السُّنة لا يتصور أن يتفقوا على مخالفة إجماع الصحابة وأما الإمامية ، فلا ريب أنهم متفقون على مخالفة إجماع العترة النبوية مع مخالفة إجماع الصحابة ، فإنه لم يكن في العترة النبوية بني هاشم - على عهد رسول الله ﷺ - وأبي بكر وعمر وعثمان

---

(١) الحديث ورد برواية (كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام) وبزيادة (ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة) رواه احمد في مسنده عن ابن عمر، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٩٤) ط. العلمية.

وعلي رضي الله عنهم. من يقول بإمامة إثنا عشر ولا بعصمة أحد بعد النبي ﷺ ، ولا بكفر الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم ، بل ولا من يطعن في إمامتهم ، بل ولا من يكذب بالقدر . فالامامية بلا ريب متفقون على مخالفة العترة النبوية ، مع مخالفتهم لإجماع الصحابة . فكيف ينكرون على من خالف إجماع الصحابة ؟ .

وأما المذاهب فإن أراد إنهم اتفقوا على إحداثها مع مخالفة الصحابة رضي الله عنهم فهذا كذبٌ عليهم ، فإن الأربعة رضي الله عنهم ، لم يكونوا في وقت واحد ، ولا كان فيهم من يقلد الآخر ، ولا من أمر الناس باتباعه ، بل كل منهم يدعو إلى متابعة الكتاب والسُّنة ، ويرد على صاحبه . وإن قلت : إن الناس اتبعوا الأربعة فهذا أمر اتفاق . وأما الشيعة فكل ما خالفوا فيه الجمهور فهم مخطئون فيه ، والأربعة لم يخترعوا علماً لم يكن ، بل جمعوا العلم ، فأضيف ذلك إلى الواحد منهم ، ثم لم يقل أهل السُّنة إن إجماع الأربعة حجة معصومة ، ولا أن الحق منحصر في قولهم ، وإنما خرج عنه باطل .

ابن مطهر : بعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق ، وبايعه أكثر الناس للدنيا .

ابن تيمية : تقصد أبو بكر ، فمن المعلوم أن أبا بكر لم يطلب الأمر لنفسه ، بل قال : قد رضيت لكم ، أما عمر ، وأما عبد الرحمن وأما أبا عبيدة . وقال عمر : فوالله لئن أقدم فتغرب عنقي أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر .

وإنما اختاره عمر وأبو عبيدة وسائر المسلمين ، وبايعوه ، لعلمهم بأنه خيرهم ، وقد قال النبي ﷺ : - « يأبى الله والمؤمنون إلاَّ أبا بكر » . ثم هب أنه طلبها وبايعوه ، فزعمك أنه طلبها وبايعوه للدنيا كذب ظاهر ، فإنه ما أعطاهم دنيا ، وقد كان أنفق في حياة الرسول ﷺ وقل ما بيده .

والذين بايعوه فأزهد الناس في الدنيا ، ثم لم يكن عند موت النبي ﷺ

بيت مال يبذله لهم ، ثم كانت سيرته رضي الله عنه ومذهبه التسوية في قسم الفيء .

وأي فائدة دنيوية حصلت لجمهور الأمة بمبايعة أبو بكر؟ لا سيما وهو يسوي بين كبار السابقين ، وبين آحاد المسلمين في العطاء ويقول : إنما أسلموا لله ، وأجورهم على الله ،. وإنما هذا المتاع بلاغ .

ابن مطهر : وسموه خليفة رسول الله ﷺ وما استخلفه في حياته ، ولا بعد وفاته ، ولم يسموا علياً خليفة رسول الله ﷺ مع أنه استخلفه على المدينة وقال له : « إن المدينة لا تصلح إلاَّ بي أو بك » .

ابن تيمية : إن الخليفة معناه في اللغة الذي يخلف غيره كما هو معروف في اللغة أو أن يكون من استخلفه غيره كقول الشيعة وبعض الظاهرية . فعلى الأول أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ خلفه بعد موته ، وقام مقامه وكان أحق بها وأهلها ، فكان هو الخليفة دون غيره ضرورة فإن الشيعة وغيرهم لا ينازعون في أنه هو صار ولي الأمر بعده ، وصار خليفة له يصلي بالمسلمين ويقيم فيهم الحدود ، ويقسم عليهم الفيء ، ويغزو بهم ويولي عليهم العمال والأمراء، فهذه باتفاق إنما باشرها بعد موته ﷺ ، أبو بكر رضي الله عنه ، فكان هو الخليفة للرسول ﷺ فيها قاطعاً، وأما استخلافه ﷺ علياً رضي الله عنه على المدينة فليس خاصاً به ، فقد استخلف عليها ابن أم مكتوم وعثمان بن عفان ، وأبا لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنهم ، وهذا ليس هو استخلافاً مطلقاً ، ولهذا لم يقل في أحد من هؤلاء أنه خليفة رسول الله ﷺ إلاَّ مع التقييد .

والنبي ﷺ إنما شبه علياً رضي الله عنه في أصل الاستخلاف لا في كماله وإلاَّ فاستخلاف موسى لهارون عليهما السلام كان على بني إسرائيل إذ ذهب إلى المناجاة ، بخلاف النبي ﷺ ، وعلي رضي الله عنه أنه كان مع النبي ﷺ غالب الناس . وأما قولك (إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك) فهذا كذبٌ موضوع ، فقد كان علي معه في بدر وخيبر وحنين وغير ذلك واستعمل غيره عليها .

ابن مطهر : إنهم يقولون : إن الإمام بعده أبو بكر بمبايعة عمر برضى أربعة .

ابن تيمية : بل بمبايعة الكل ورضاهم على رغم أنفك . ولا يرد علينا شذوذ سعد وحده ، فهذه بيعة علي رضي الله عنه امتنع عنها خلقٌ من الصحابة والتابعين ممن لا يحصيهم إلاَّ الله تعالى، أفذلك في إمامته؟ ومذهب أهل السنة أن الإمامة تنعقد عندهم بموافقة أهل الشوكة الذين يحصل بهم مقصود الإمامة وهو القدرة والتمكين .

ابن مطهر : ولم يول النبي ﷺ أبا بكر عملاً قط ، ولما أنفذه بسورة براءة رده بوحي من الله .

ابن تيمية : هذا من أبين الكذب ، فمن المعلوم قطعاً أن النبي ﷺ استعمل أبا بكر رضي الله عنه على الحج عام تسع فكان هذا من خصائصه كما أن استخلافه على الصلاة من خصائصه وكان علي رضي الله عنه من رعيته في الحج المذكور فإنه لحقه فقال أمير أو مأمور؟. قال علي : بل مأمور . وكان علي رضي الله عنه يصلي خلف أبي بكر رضي الله عنه مع سائر المسلمين في هذه الحجة ، بل خاصة بتبليغ سورة براءة .

ابن مطهر : وقطع سارقاً ولم يعلم أن القطع لليد اليمنى .

ابن تيمية : من اظهر الكذب أن يجهل هذا أبو بكر رضي الله عنه ، ثم لو قدر أن أبا بكر كان يجيز ذلك لكان سائغاً ، لأن القرآن ليس في ظاهره ما يعين اليمين ، لكن تعيين اليمين في قراءة ابن مسعود (فاقطعوا أيمانهما) وبذلك مضت السُّنة .

ولكن أين النقل بذلك عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قطع اليد اليسرى؟ وأين الإسناد الثابت بذلك ؟ وهذه كتب أهل العلم بالآثار الموجودة فليس فيها ذلك ، ولا نقل أهل العلم بالاختلاف ذلك قولاً مع تعظيمهم لأبي بكر رضي الله عنه .

ابن مطهر : خفي عليه أكثر أحكام الشريعة.

ابن تيمية : كيف يخفى عليه أكثر الأحكام ، ولم يكن من يقضي ويفتي بحضرة النبي ﷺ إلاّ هو ، ولم يكن النبي ﷺ أكثر مشاورة لأحد منه ولعمر رضي الله عنهما .

ابن مطهر : لم يعرف حكم الكلالة .

ابن تيمية : هذا من أعظم علمه، فإن الرأي الذي رآه عليه جماهير العلماء وأخذوا بقوله وهو أنه من لا ولد له ولا والد.

وأما الجد فإنما قضاء عمر رضي الله عنه ، وأما أبو بكر رضي الله عنه فإنه لم يختلف قوله أن جعله أباً، وهو قول بضعة عشر صحابياً، ومذهب أبي حنيفة وبعض الشافعية والحنابلة هو الأظهر في الدليل، وقال مالك والشافعي وأحمد يقول زيد بن ثابت ، وأما قول علي رضي الله عنه في الجد فلم يذهب إليه الأئمة ، فلما أجمع المسلمون على الجد الأعلى أولى من الأعمام كان الجد الأدنى أولى من الاخوة ، ثم القائلون بمشاركة الاخوة للجد لهم أقوال متناقضة.

ابن مطهر: أهمل أبو بكر حدود الله ، فلم يقتص من خالد بن الوليد حيث قتل مالك بن نويرة ، وأشار عمر بقتله فلم يقبل.

ابن تيمية : إن كان ترك قاتل المعصوم مما ينكر على الأئمة كان هذا من أكبر حجج الشيعة لعثمان على علي رضي الله عنهما، فإن عثمان خيرٌ من أمثال مالك ابن نويرة، وقد قتل مظلوماً شهيداً، وعلي رضي الله عنه لم يقتص من قتلته، ولذا امتنع الشاميون من مبايعته، فإن عذرتموه، فاعذروا أبا بكر رضي الله عنه فإنا نعذرهما.

ابن مطهر : منع أبو بكر فاطمة ارثها والتجأ إلى رواية انفرد بها ، وكان هو الغريم لها ، لأن الصدقة تحل له ، لأن النبي ﷺ قال : « نحن معاشر

الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة »[1] على ما رووه عنه ، والقرآن يخالف ذلك لأنه تعالى قال : ـ ﴿ وورث سليمان داود ﴾[2] وقال : ﴿ فهب لي من لدنك ولياً يرثني ﴾[3].

ابن تيمية : قولك «رواية انفرد بها» كذب، بل رواه عن النبي ﷺ أبو بكر، عمر، عثمان، علي، طلحة، الزبير، عبد الرحمن بن عوف ، العباس ، أزواج النبي ﷺ ، وأبو هريرة رضي الله عنهم . وقولك : « كان الغريم لها » كذب لأن أبا بكر رضي الله عنه لم يدع التركة لنفسه ، وإنما هي صدقة لمستحقها، وأيضاً فتيقن الصحابة وأولهم علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ لا يورث ولهذا لما ولي علي رضي الله عنه الخلافة لم يقسم تركة النبي ﷺ ولا غيرها عن مصرفها . ثم قوله تعالى : ﴿ وورث سليمان داود ﴾ لا يدل إذ الإرث إسم جنس تحته أنواع والدال على ما به الاشتراك لا يدل على ما به الامتياز، ولفظ الإرث يستعمل في لفظ إرث العلم والملك وغير ذلك . قال تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ وتلك الجنة التي

---

(١) يقول ابن قتيبة رحمه الله : «ومن الدليل أيضاً على أن رسول الله ﷺ لا يورث، أنه كان لا يرث بعد أن أوحى الله تعالى إليه، وإنما كانت وراثته أبويه قبل الوحي» اهـ.
راجع مناقشة ابن قتيبة لهذه القضية في كتابه القيم «تأويل مختلف الحديث» (ص ٣٠٠ : ص ٣٠٥). ط. دار الجيل وفي هذه المناقشة يسأل ابن قيتبة :
كيف يسوغ لأحد أن يظن بأبي بكر رضي الله عنه أنه منع فاطمة حقها من ميراث أبيها، وهو يعطي الأحمر والأسود حقوقهم؟؟! وما معناه في دفعها عنه، وهو لم يأخذ لنفسه، ولا لولده، ولا لأحد من عشيرته؟!.

(٢) النمل (١٦/٢٧) قال الصابوني: ورث سليمان أباه في النبوة والعلم (١٠٠٠/١٩) وقال الكلبي : ـ (ولو كانت وراثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء) راجع الجامع لأحكام القرآن (١٦٤/١٣).

(٣) مريم (٦/١٩) راجع تفسير هذه الآية في الفخر الرازي الكبير (١٨١/٢١) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٣/١١) ط. دار الكتب.

(٤) فاطر (٣٢/٣٥) يقول الإمام الزمخشري رضي الله عنه في كشافه «الذين اصطفاهم الله هم أمة محمد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة» اهـ. (٤٨٤/٣).

أورثتموها ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وأورثكم أرضهم ﴾[2] وقوله تعالى: - ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ﴾[3]

وأخرج أبو داود أن النبي ﷺ قال: « أن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم » ثم يقال بل المراد ارث العلم والنبوة لا المال، وإذ معلوم أنه كان لداود عليه السلام أولاد كثيرة غير سليمان عليه السلام، فلا يختص سليمان عليه السلام بماله، وليس في كونه ورث ماله صفة مدح لهما، فإن البر والفاجر يرث أباه، والآية سبقت في مدح سليمان عليه السلام، وما خص به، وارث المال من الأمور العادية المشتركة بين الناس، ومثل ذلك لا يقص علينا لعدم فائدته.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾[4] لأنه لا يرث من آل يعقوب أموالهم، إنما يرثهم أولادهم وذريتهم.

ثم ذكريا عليه السلام لم يكن ذا مال، إنما كان نجاراً، ويحيى عليه السلام كان من أزهد الناس.

ابن مطهر: ولما ذكرت أن أباها وهبها فدك، وقال: هاتي شاهداً. فجاءت بأم أيمن فقال: امرأة لا يقبل قولها، فجاءت بعلي فشهد لها، فقال هذا بعلك يجره إلى نفسه.

ابن تيمية: ما هذا بأول افتراء للرافضة[5] ولا بهتهم، ثم إن فاطمة إن

---

(١) الزخرف (٤٣/٧٢) راجع تفسير الآية في المختصر لابن كثير (٣/٢٩٦) وتفسير الشيخ الصابوني (٢٥/١٣٢٨).

(٢) الأحزاب (٣٣/٢٧).

(٣) الأعراف (٧/١٣٧).

(٤) مريم (١٩/٦) ومعنى الآية: يرث الشرع والعلم، لأن الأنبياء لا يورثون أموالاً ولا عقاراً، إنما هو العلم والتشريع.

راجع البيضاوي (٢/١٤) بتعرف في اللفظ والعبارة.

(٥) الرافضة: راجع هذه الفرقة في الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٩ - ٧١ ومروج الذهب للمسعودي (٣/٢٢٠) بتصرف. وأرجو مراجعة كتاب الملل والنحل للشهرستاني والفصل لابن =

كانت طلبت فدك بالإرث بطلت الهبة ، وإن كانت هبة بطل الإرث .

ثم إذا كانت هذه هبة في مرض الموت ، فرسول الله ﷺ منزه - إن كان يورث كما يورث غيره - أن يوصي لوارث أو يخصه في مرض موته بأكثر من حقه وان كان في صحته فلا بد أن تكون هذه هبة مقبوضة وإلاَّ فإذا وهب الواهب بكلام ، ولم يقبض الموهوب إليه شيئاً حتى مات ، كان ذلك باطلاً عند جماهير العلماء . فكيف يهب النبي ﷺ فدك لفاطمة ، ولا يكون ذلك أمراً مشهوراً عند أهل بيته والمسلمين حتى تختص بمعرفته أم أيمن أو علي رضي الله عنهما ، بل ذلك كذب على فاطمة في ادعائها ذلك .

وإن كان النبي ﷺ يورث فالخصم أزواجه وعمه رضي الله عنهم ، ولا تقبل عليهم شهادة امرأة واحدة ولا رجل واحد بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ واتفاق المسلمين . وإن كان لا يورث فالخصم في ذلك المسلمون ، فكذلك لا تقبل عليهم شهادة امرأة واحدة ولا رجل واحد باتفاق المسلمين ، ولا رجل وامرأة ، نعم يحكم في ذلك بشهادة ويمين الطالب عند فقهاء الحجاز، وفقهاء أهل الحديث .

وشهادة الزوج لزوجته فيها قولان مشهوران للعلماء هما روايتان عن أحمد رضي الله عنه احداهما لا تقبل وهي مذهب أبي حنيفة ومالك والليث بن سعد والأوزاعي واسحاق وغيرهم رضي الله عنهم ، والثانية تقبل وهي مذهب الشافعي وأبي ثور وابن المنذر . فعلى هذا لو قدر صحة القضية لما جاز للإمام أن يحكم بشهادة رجل واحد وامرأة بالاتفاق، لا سيما وأكثرهم لا يجيزون شهادة الزوج.

ابن مطهر : وأمر أسامة على جيش فيه أبو بكر وعمر ولم يعزله ، ولم يسموه خليفة رسول الله ﷺ ، ولما تولى أبو بكر غضب أسامة وقال : إني أمرت عليك فمن استخلفك عليَّ؟ فمشى إليه هو وعمر حتى استرضياه .

= حزم للوقوف على الفرق المختلفة التي تفرعت من الرافضة، ومصائب كل منها على دولة الإسلام والمسلمين .

ابن تيميـة : لم يكن أبو بكر رضي الله عنه في جيش أسامة رضي الله عنه، بل كان النبي ﷺ استخلفه في الصلاة من أول مرضه، وأمراء الرايات كأسامة وغيره - لم يسموا خلفاء. لأنهم لا خلفوا الرسول ﷺ بعد موته ، ولا خلفوه في كل شيء في حياته .

وأما غضب أسامة رضي الله عنه فكذب بارد ، لأن أسامة كان أبعد شيء عن الفرقة والخلاف ، وقد اعتزل القتال مع علي ومعاوية رضي الله عنهما ثم لم يكن قرشياً ، ثم لو قدر أن النبي ﷺ أمره على أبي بكر رضي الله عنه ثم مات واستخلف أبو بكر ، فإلى الخليفة إنفاذ الجيش وحسبه ، وتأمير أسامة وعزله ، وهذا لا ينكره إلاّ جاهل.

والعجب من هؤلاء المفترين ومن قولهم : إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما مشيا إليه واسترضياه مع قولهم إنهما قهرا علياً والعباس وبني هاشم وبني عبد مناف ، ولم يسترضوهم، وأي حاجة بمن قهروا أشراف قريش أن يسترضوا ضعيفاً ابن تسع عشرة سنة لا مال له ولا رجال .

فإن قالوا : استرضياه بحب رسول الله ﷺ إياه وتوليته له قيل : فأنتم تدعون انهما بدلا عهده ووصيته ﷺ .

ابن مـطهر : وقال (أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم) فإن كانت إمامته حقاً فاستقالته معصية، وإن كانت باطلة لزم الطعن.

ابن تيميـة : هذ كذب، ولا له إسناد. بل ثبت عنه أنه قال يوم السقيفة: بايعوا أحد هذين الرجلين ، أبو عبيدة أو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فقال له عمر رضي الله عنه : بل أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ ، ثم يقال : فهلا استخلفت علياً رضي الله عنه ، عند الموت ، وللإمام أن يقـتـال لطلب الراحة من أعباء الأمرة . وتواضع المرء لا يسقط من رتبته .

ابن مطهـر: وقال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتـة وقى الله شرها ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه.

ابن تيمية : هذا القول الأخير افتراء وكذب، وإنما قال: وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر رضي الله عنه.

ومعناه أن بيعة الصديق يورد إليها من غير انتظار وتريث لكونه كان متعيناً .

ابن مطهر : وقال أبو.بكر: ليتني سألت رسول الله ﷺ : هل للأنصار في هذا الأمر حق؟.

ابن تيمية : هذا كذب. ثم نقول: هذا يقدح فيما تدعونه من النص على علي رضي الله عنه، إذ لو كان نص عليه السلام على علي لبطل حق الأنصار وغيرهم.

ابن مطهر : وقال النبي ﷺ في مرض موته مرات: (انقذوا جيش أسامة، لعن الله المتخلف عن جيش أسامة) وكانت الثلاثة معه ومنع أبو بكر عمر من ذلك.

ابن تيمية : هذا كذب عند كل عارف السيرة، فكيف يرسل أبا بكر في جيش أسامة وقد استخلفه على الصلاة، فصلى بهم اثني عشر يوماً بالنقل المتواتر، وقد كشف النبي ﷺ الستارة يوم الاثنين وقت الصبح وهم يصلون خلف أبي بكر رضي الله عنه، ووجهه كأنه ورقة مصحف وسر بذلك لما رآهم بالصلاة، فكيف يتصور أن يأمره بالخروج وهو يأمره بالصلاة بالناس؟ وإنما انقذ جيش أسامة بعد موت الرسول ﷺ أبو بكر رضي الله عنه، غير أنه استأذنه في أن يأذن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في الإقامة لأنه ذو رأي ناصح للإسلام ، فأذن له .

وأشار عليه بعضهم بترك الغزاة ، فإنهم خافوا أن يطمع الناس في الجيش بموت النبي ﷺ ، فامتنع أبو بكر رضي الله عنه وقال: لا أُحل لواءً عقده النبي ﷺ .

ابن مطهر : رواه عن أبي بكر أنه قال على المنبر (أن النبي ﷺ كان

يعتصم بالوحي، وأن لي شيطاناً يعتريني، فإن استقمت فأعينوني، وإن زغت فقوموني)[1].

فكيف تجوز إمامة من يستعين بالرعية على تقويمه؟.

ابن تيمية . هذه من أكبر فضائله، وأولها على أنه لم يكن طالباً رياسة، ولا كان ظالماً، فقال: إن استقمت على الطاعة فأعينوني عليها، وإن زغت عنها فقوموني. كما قال: أطيعوني كما أطعت الله فيكم.

فالشيطان الذي يعتريه يعتري غيره، فإنه ما من أحد إلاّ قد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. فمقصوده بذلك أني لست معصوماً، وصدق رضي الله عنه، والإمام ليس رباً لرعيته حتى يستغنى عنهم، بل يتعاونون على البر والتقوى.

ثم يقال استعانة علي رضي الله عنه برعيته وحاجته إليهم كانت أكثر من استعانة أبي بكر رضي الله عنه.

ابن مطهر : عطل عمر الحدود، لم يحد المغيرة بن شعبة.

ابن تيمية : إن جماهير العلماء على ما فعله عمر رضي الله عنه في قصة المغيرة، وأن البنية إذا لم تكمل حد الشهود، وفعل ذلك بحضرة الصحابة - علي وغيره - فأقروه عليه، بدليل أنه لما جلد الثلاثة أعاد أبو بكر القذف وقال: والله لقد زنا. فهّم عمر رضي الله عنه بجلده ثانياً، فقال له علي رضي الله عنه: إن كنت جالده فارجم المغيرة.

يعني يكون تكراره للقول بمنزلة شاهد آخر، فيتم النصاب ويجب الرجم. وهذا دليل على رضا علي رضي الله عنه بحدهم لأنه ما أنكره.

ابن مطهر : كان يعطي أزواج النبي ﷺ من بيت المال أكثر مما ينبغي،

---

(١) راجع - إن شئت - كتابنا (العشرة المبشرون بالجنة) للسيد الجميلي (ص ٢٣ - ٤٦) ط. دار الكتاب العربي.

ويعطي عائشة وحفصة في السنة عشرة آلاف.

ابن تيمية : كان مذهبه التفضيل في العطاء، كما كان يعطي بني هاشم أكثر من غيرهم، ويبدأ بهم ويقول: ليس أحد أحق بهذا المال من أحد، إنما هو الرجل وغناؤه، والرجل وبلاؤه، والرجل وسابقته، والرجل وحاجته. وكان يعطي ابنه عبد الله رضي الله عنه أنقص مما يعطي أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، فوالله ما كان عمر رضي الله عنه يتهم في تفضيله لمحاباة ولا صداقة.

ابن مطهر : وغير حكم الله في المنفيين.

ابن تيمية : النفي في الخمر تعزير يسوغ للإمام فعله باجتهاده، وقد ضرب الصحابة في الخمر أربعين، وضربوا ثمانين.

ابن مطهر : كان قليل المعرفة بالأحكام، أمر برجم حامل حتى نهاه علي.

ابن تيمية : إن كانت هذه القضية وقعت، فلعل عمر رضي الله عنه لم يعلم بحملها، والأصل عدم الحمل، أو غاب عنه الحكم حتى ذكره علي رضي الله عنه، فكان ماذا يمثل هذا يقدح في أئمة الهدى؟ وعلي رضي الله عنه قد خفي عليه من السنة أضعاف هذا. وأدى اجتهاده إلى أن قتل يوم الجمل وصفين نحواً من تسعين ألفاً، فهذا أعظم مراراً من خطأ عمر رضي الله عنه في قتل ولد زنا، ولم يقتله ولله الحمد.

ابن مطهر : جمع بين الفاضل والمفضول.

ابن تيمية : هذا عندك، وأما عندهم فكانوا متقاربين. ولهذا كانوا في الشورى مترددين. فإن قلت: علي هو الفاضل وعثمان المفضول، قيل لك: كيف أجمع المهاجرون والأنصار على تقديم مفضول؟.

ابن مطهر : وأما عثمان فإنه ولي من لا يصلح، حتى ظهر من بعضهم الفسق والخيانة، وقسم الولايات بين أقاربه.

ابن تيمية : ان نواب علي رضي الله عنه قد خانوه وعصوه أكثر مما خان

عمال عثمان رضي الله عنه له وعصوه، وقد ولى علي رضي الله عنه زياد بن أبي سفيان، أبا عبيد الله بن زياد قاتل الحسين رضي الله عنه وولى الأشتر، وولى محمد بـن أبي بكر. ومعاوية رضي الله عنه خير من هؤلاء كلهم.

ومن العجب أن الشيعة ينكرون على عثمان رضي الله عنه ما يدعون أن علياً رضي الله عنه كان أبلغ فيه من عثمان، فيقولون إن عثمان ولى أقاربه من قبل أبيه وأمه كعبد الله وعبيد الله ابني عمه العباس، وقثم بن العباس، وثمامة ابن العباس، وولى على مصر ربيبه محمد بن أبي بكر الذي رباه في حجره، وولد أختَه أم هانىء.

ثم إن الإمامية تـدعي أن علياً نص على أولاده في الخلافة... ومن المعلوم أنه إن كان تولية الأقربين منكراً فتولية الخلافة العظمى أعظم من إمارة بعض الأعمال، وتولية الأولاد أقرب إلى الانكار من تولية بني العم.

ابن مطهر : ضرب ابن مسعود حتى مات.

ابن تيمية : هذا من الكذب المعلوم.. وقيل إن عثمان رضي الله عنه ضرب عماراً وابن مسعود رضي الله عنهما، فإن صح فهو إمام، له أن يعزره باجتهاده أصاب أو أخطأ.

ابن مطهر : وطرد رسول الله ﷺ الحَكَم وابنه من المدينة فآواهما عثمان.

ابن تيمية : كان لمروان سبع سنين أو أقل، فما كان ذنب يطرد عليه. ثم لم نعرف أن أباه هاجر إلى المدينة حتى يطرد منها، فإن الطلقاء ليس فيهم من هاجر فإن النبي ﷺ قال: «لا هجرة بعد الفتح»، ولما قدم صفوان بن أمية مهاجراً أمره النبي ﷺ بالرجوع إلى مكة. وقصة طرد الحَكَم ليس لها إسناد نعرف به صحتها، فإن كان قد طرده فإنما طرده من مكة لا من المدينة، ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة، وطعن كثير من أهل العلم في نفيه وقالوا: هو ذهب باختياره. والطرد هو النفي، والنفي قد جاءت به السنة في الزاني وفي المخنثين، وكانوا يعزرون بالنفي. وإذا كان النبي ﷺ قد عزر رجلاً

بالنفي لم يلزم أن يبقى منفياً طول الزمان ، فإن هذا لا يعرف في شيء من الذنوب، ولم تأت الشريعة بذنب يتبقى صاحبه منفياً دائماً، بل في غاية النفي المقدر سنة، والزاني فيعزر بالنفي سنة، ويعلم قطعاً أن عثمان رضي الله عنه ما أذن للحَكَم في اتيان المدينة معصية للرسول ﷺ ، ولا مراغمة للإسلام .

ابن مطهر : ونفى أبا ذر إلى الربذة.

ابن تيمية : ثبت عن عبد الله بن الصامت قال: قالت أم ذر: والله ما سيَّر عثمان أبا ذر إلى الربذة ولكن رسول الله ﷺ قال له : « إذا بلغ البناء سلعاً فاخرج منها» وقال الحسن البصري: معاذ الله أن يكون أخرجه عثمان رضي الله عنه.

ابن مطهر : زاد الأذان وهو بدعة.

ابن تيمية : علي رضي الله عنه ممن وافق على ذلك في خلافته ولم يزله. وابطال هذا كان أهون عليه من عزل معاوية رضي الله عنه وغيره وقتالهم. فإن قيل إن الناس لا يوافقونه على إزالة الأذان. قلنا فهذا دليل على أن الناس قد وافقوا عثمان رضي الله عنه على الاستحباب حتى مثل عمار رضي الله عنه وسهل بن حنيف والسابقين. وإن اختلفوا فهي من مسائل الاجتهاد. وإن قيل هي بدعة. قيل وقتال أهل القبلة بدعة لم تكن قبل.

وأنتم فقد زدتم في الأذان بدعة لم يأذن بها الرسول ﷺ وهي (حي على خير العمل).

ابن مطهر : وقالوا غبت عن بدر، وهربت يوم أحد ولم تشهد بيعة الرضوان.

ابن تيمية : هذا ما قاله إلاَّ جهلة الروافض من قاتله وقد أجابهم عثمان وابن عمر رضي الله عنهما بأنه غاب يوم بدر بأمر الرسول ﷺ ليمرض ابنته. ويوم الحديبية فإن النبي ﷺ بعثه رسولاً إلى مكة، فبلغه أنهم قتلوه، فبايع أصحابه على الموت . وقال تعالى في الذين تولوا يوم أحد.

﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم، وقد عفا عنكم، والله ذو فضل على المؤمنين﴾[1].

ابن مطهر : إن عائشة كانت في كل وقت تأمر بقتل عثمان وتقول في كل وقت: اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً، ولما بلغها قتله فرحت بذلك.

ابن تيمية : أين النقل الثابت عن عائشة رضي الله عنها بذلك؟ وأن المنقول عن عائشة رضي الله عنها يكذب ذلك، ويبين أنها أنكرت قتله ودعت على أخيها محمد وغيره لمشاركتهم في ذلك.

ويقال: هب أن أحداً من الصحابة ـ عائشة أو غيرها ـ قال في ذلك كلمة على وجه الغضب لإنكاره بعض ما ينكر فليس قوله حجة ، ولا يقدح في إيمان القائل ولا المقول له ، بل قد يكون كلاهما ولياً لله تعالى من أهل الجنة ، ويظن أحدهما جواز قتل الآخر بل يظن كفره ، وهو مخطىء في هذا الظن .

ابن مطهر : أي ذنب لعلي في قتله؟.

ابن تيمية : تناقض منك. فإنك تزعم أن علياً رضي الله عنه ممن يستحل قتله وقتاله، وممن ألب عليه وقام بذلك، فإن علياً قد نسبه إلى قتل عثمان رضي الله عنه كثير من شيعته وشيعة عثمان رضي الله عنه. وجماهير الإسلام يعلمون كذب الطائفتين على علي رضي الله عنه، والرافضة تقول إن علياً رضي الله عنه كان ممن يستحل قتل عثمان رضي الله عنه، بل وقتل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وترى أن الإعانة على قتله من الطاعات والقربات، فكيف يقول من هذا اعتقاده أي ذنب كان لعلي في ذلك؟ وإنما يليق هذا التنزيه لعلي رضي الله عنه بأقوال أهل السُّنة، لكن الرافضة من أعظم الناس تناقضاً.

ابن مطهر : أجمعوا على قتل عثمان.

ابن تيمية : هذا كذب فإن الجمهور لم يأمروا بقتله ولا رضوه، ولم يكن أكثر المسلمين بالمدينة بل كانوا بالأمصار ـ من بلد المغرب إلى خراسان ـ ولم

---

(١) آل عمران (٣/١٥٢).

يدخل خيار المسلمين في ذلك، وإنما قتله طائفة من المفسدين في الأرض. وعن علي رضي الله عنه قال: (اللهم العن قتلة عثمان رضي الله عنه في البر والبحر والسهل والجبل).

ومن المعلوم أن المسلمين أجمعوا على بيعة عثمان رضي الله عنه وما أجمعوا على قتله ، وما قولك أن عثمان رضي الله عنه قتل بالإجماع إلاّ كما قال ناصبي قتل الحسين رضي الله عنه بإجماع المسلمين ، لأن الذين قاتلوه وقتلوه لم يدفعهم أحدٌ عن ذلك، فلم يكن كذبه بأظهر من كذب المدعى الإجماع على قتل عثمان رضي الله عنه، فإن الحسين رضي الله عنه لم يعظم إنكار الأمة لقتله كما عظم إنكارهم لقتل عثمان رضي الله عنه ولا حصل بقتله من الفتنة والشر والفساد ما حصل بقتل عثمان رضي الله عنه.

ابن مطهر : الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته، وعلى فاضل أهل زمانه فهو الإمام، لقبح تقدم المفضول على الفاضل عقلاً ونقلاً.

ابن تيمية : لا تسلم أنه أفضل أهل زمانه، فإنه قال علي منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ثم كثير من العلماء لا يوجبون تولية الأفضل، فمنهم من يقول بولاية المفضول إذا كان فيها مصلحة راجحة كما تقول الزيدية.

ابن مطهر : روى أحمد بن حنبل[1] أن أنساً قال لسلمان سل النبي ﷺ من وَصِيُّهُ ؟ فسأله فقال : (يا سلمان من وصى موسى) قال يوشع قال : (فإن وصيّ ووارثي علي) .

ابن تيمية : هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث،

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني الوائلي، إمام المذهب الحنبلي، وهو الملقب بإمام أهل السُّنة، أحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، وكان أبوه والي (سرخس) ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ ، وسافر في سبيل العلم إلى أقطار شتى ، وله مسنده الذي يقع في ستة مجلدات يحتوي على ثلاثين ألف حديث، وله تصانيف في الناسخ والمنسوخ والتاريخ وغيره. وتوفي رحمه الله سنة ٢٤١ هـ.

وليس هو في مسند الإمام أحمد بن حنبل.

ابن مطهر : عن ابن أبي ليلى قال: قال النبي ﷺ : الصديقون ثلاثة : حبيب التجار ، ومؤمن آل فرعون ، وعلي وهو أفضلهم.

ابن تيمية : هذا كذب، وقد ثبت أن النبي ﷺ وصف أبا بكر رضي الله عنه بأنه صديق، وصح من حديث ابن مسعود مرفوعاً (لا يزال الرجل يصدق ويتحري الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً) فالصديقون بهذا كثير، وقال تعالى في مريم وهي امرأة: ﴿ وأمه صديقة ﴾.

ابن مطهر : قال النبي ﷺ : «سدوا الأبواب إلاَّ باب علي».

ابن تيمية : هذا من وضع الشيعة. فإن في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخذري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: « إن أَمَنَّ الناس عليَّ في ماله وصحبه أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته. لا يبقين في المسجد خوضه إلاَّ سدت إلاَّ خوضه أبي بكر» ورواه ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين[1].

ابن مطهر : قال تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ روى أبو نعيم بإسناده إلى أبي سعيد أن النبي ﷺ دعا الناس إلى غدير خم وأمرنا بحث الشجر من الشوك ، فقام فأخذ بصنبعي علي فرفعهما حتى نظر الناس إلى باطن إبطي رسول الله ﷺ ثم لم يتفرقوا حتى نزلت: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فقال الرسول ﷺ (الله أكبر على إكمال الدين ، ورضي الرب برسالتي وبالولاية لعلي من بعدي) ثم قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ».

ابن تيمية : هذا من الكذب باتفاق أهل المعرفة بالموضوعات. وقد ثبت

---

(١) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٢٢٧، ٢٢٨) ط. دار صار بيروت . تحقيق إحسان عباس .

وكذا السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد (٤/٢١٨، ٢١٩).

أن الآية نزلت على رسول الله ﷺ ، وهو واقف بعرفة قبل يوم الغدير بسبعة أيام.

ثم ليس فيها دلالة على علي رضي الله عنه بوجه ولا على إمامته. فدعواك أن البراهين دلت عليه من القرآن من الكذب الواضح، وإنما يكون ذلك من الحديث لو صح.

ابن مطهر : قال تعالى: ﴿ والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ روى الفقيه علي بن المغازلي الشافعي بإسناده عن ابن عباس قال: كنت جالساً مع فئة من بني هاشم عند النبي ﷺ إذ انقض كوكب من السماء فقال: (من انقض الكوكب في منزله فهو الوصي من بعدي) فإذا هو قد انقض في منزل علي، قالوا يا رسول الله قد غويت في حب علي، فأنزل الله تعالى: - ﴿ والنجم إذا هوى ﴾.

ابن تيمية : هذا من أبين الكذب، والقول على الله بلا علم حرام، قال الله تعالى: ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ فكل من احتج بحديث عليه أن يعلم صحته قبل أن يستدل به، وإذا احتج به على غيره، فعليه بيان صحته، وإذا عرف أن في الكتب الكذب صار الاعتماد على مجرد ما فيها مثل الاستدلال بشهادة الفاسق الذي يصدق ويكذب. ثم لو كان هذا جرى لكان يغني عن الوصية يوم غدير خم.

ابن مطهر : روى أحمد بن حنبل عن ابن عباس قال: ليس في القرآن ﴿ يأيها الذين آمنوا ﴾ إلاَّ وعلى رأسها وأميرها.

ابن تيمية : الجواب المطالبة بصحة النقل، فإنك زعمت أن أحمد بن حنبل رواه، وإنما ذامن زيادات القطيعي، رواه عن ابراهيم بن شريك عن زكريا بن يحيى الكسائي، حدثنا عيسى عن علي بن بذيمة عن عكرمة عن ابن عباس، فهذا كذب على ابن عباس، فإن زكريا ليس بثقة، والمتواترة عن ابن عباس تفضيله الشيخين على علي ، وله معاتبات ومخالفات لعلي، ثم هذا الكلام

ما فيه مدح لعلي، فقد قال الله تعالى: ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾.

فإن كان على رأس هذه الآية فقد عاتبه الله تعالى، وهو مخالف لما في حديثك من أن الله تعالى ما ذكره إلاَّ بخير.

ابن مطهر: قال تعالى: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك ﴾ اتفقوا على نزولها في علي. روى أبو نعيم بإسناده إلى عطية أنها نزلت في علي. وفي تفسير الثعلبي. ﴿ أبلغ ما أنزل إليك ﴾ في فضل علي.

فلما نزلت أخذ بيد علي فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه) والنبي مولى أبي بكر، وعمر، والصحابة بالإجماع، فيكون عليٌ مولاهم، فيكون هو الإمام.

ابن تيمية: هذا أعظم كذباً وفرية من الأول.

وقولك (اتفقوا على نزولها في علي) كذب، بل ولا قاله عالم، وفي كتاب أبي نعيم والثعلبي والنقاش من الكذب ما لا يعد.

ثم نقول لكم: ما يرويه مثل النقاش والثعلبي وأبي نعيم ونحوهم أتقبلونه مطلقاً لكم وعليكم، أم تردونه مطلقاً، أو تأخذون بما وافق أهواءكم وتردون ما خالف؟.

فإن قبلوه مطلقاً ففي ذلك من فضائل الشيخين جملة من الصحيح والضعيف، وإن ردوه مطلقاً بطل اعتماده بما ينقل عنهم، وإن قبلوا ما يوافق مذهبهم أمكن المخالف رد ما قبلوه والاحتجاج بما ردوه. والناس قد كذبوا في المناقب والمثالب أكثر من كل شيء.

ابن مطهر: لو اجتمع الناس على حب علي لم تخلق النار.

ابن تيمية: لقد رأينا من حبيه من الاسماعيلية وغيرهم خلقاً من طعام النار، ونحن نحبه ونخاف النار.

ثم خلق ممن صدَّق الرسل يدخلون الجنة وما عرفوا علياً رضي الله عنه.

ابن مطهر :- قال تعالى: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[1] وقد أجمعوا أنها نزلت في علي.

ابن تيمية : إن قولك (أجمعوا أنها نزلت في علي) من أعظم الدعاوى الكاذبة، بل أجمعوا على أنها لم تنزل في علي رضي الله عنه بخصوصه، ثم تعفيك من ادعائك الإجماع ونطالبك بسند واحد صحيح. ولو كان المراد بالآية أن يؤتى الزكاة في حالة الركوع لوجب أن يكون ذلك شرطاً في الموالاة، ولا يتولى المسلم إلاَّ علياً فقط، فلا يتولى الحسن ولا الحسين رضي الله عنهما، ثم قوله ﴿ الذين يقيمون ﴾ صيغة جمع فلا تصدق على واحد فرد، وأيضاً فلا يثنى على المرء إلاَّ بمحمود، وفعل ذلك في الصلاة ليس بمستحب، ولو كان مستحباً لفعله الرسول ﷺ ولحض عليه ولكرر علي رضي الله عنه فعله.

وإن في الصلاة لشغلاً فكيف يقال لأولى لكم إلاَّ الذين يتصدقون في حال الركوع؟.

ثم قوله: ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ يدل على وجوب الزكاة، وعلي رضي الله عنه ما وجبت عليه زكاة قط في زمن النبي ﷺ فإنه كان فقيراً، وزكاة الفضة إنما تجب على من ملك النصاب حولاً وعلي رضي الله عنه لم يكن من هؤلاء. ثم اعطاء الخاتم في الزكاة لا يجزي عند الأكثر، ثم الآية بمنزلة قوله تعالى: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾[2] وكقوله تعالى: - ﴿ اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾[3].

ابن مطهر : الفقهاء كلهم يرجعون إليه.

ابن تيمية : هذا كذب، فليس في الأئمة الأربعة ولا غيرهم من يرجع إليه في الفقه.

---

(١) المائدة (٥/٥٥) أرجو مراجعة تفسير الشيخ الصابوني للآية الكريمة (٦/٣٣٦).

(٢) البقرة (٢/٤٣).

(٣) آل عمران (٣/٤٣).

أما مالك فعلمه عن أهل المدينة، وأهل المدينة لا يكادون يأخذون بقول علي بل مادتهم من عمر وزيد وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم.

وأما الشافعي فإنه يتفقه أولاً على المكيين أصحاب ابن جريج، وابن جريج أخذ عن أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما ، ثم قدم الشافعي المدينة وأخذ عن مالك، ثم كتب أهل العراق واختار لنفسه، وأما أبو حنيفة فشيخه الذي اختص به حماد بن أبي سليمان ، صاحب إبراهيم النخعي وإبراهيم صاحب علقمة ، وعلقمة صاحب ابن مسعود رضي الله عنه. وأخذ أبو حنيفة عن عطاء بمكة ومن غيره .

وأما أحمد بن حنبل فكان على مذهب أئمة الحديث.

ابن مطهر : إن المالكية أخذوا علمهم عن علي وأولاده.

ابن تيمية : كذب، هذا الموطأ ليس فيه عن علي وأولاده إلَّا اليسير، وكذلك الكتب والسنن والمسانيد جمهور ما فيها عن غير أهل البيت

ابن مطهر : ان أبا حنيفة قرأ على الصادق.

ابن تيمية : كذب فإنه من أقرانه، مات جعفر قبله بسنتين، ولكن ولد أبو حنيفة مع جعفر بن محمد في عام . ولا نعرف أنه أخذ عن جعفر ولا عن أبيه مسألة واحدة. بل أخذ عمن أسن منهما كعطاء بن أبي رباح وشيخه الأصلي حماد بن أبي سليمان ، وجعفر بن محمد كان بالمدينة.

ابن مطهر : إن الشافعي أخذ عن محمد بن الحسن.

ابن تيمية : ما جاءه الشافعي إلَّا وقد صار إماماً، فجالسه وعرف طريقته وناظره وألق في الرد عليه، وفي الجملة فهؤلاء لم يأخذوا عن جعفر مسائل ولا أصولاً، ولكن رووا عنه أحاديث يسيرة رووا عن غيره أضعافها.

ابن مطهر : وعن مالك أنه قرأ على ربيعة، وربيعة على عكرمة وعكرمة على ابن عباس، وابن عباس تلميذ علي.

ابن تيمية : هذه كذبه، ما أخذ ربيعة عن عكرمة شيئاً، بل عن سعيد بن المسيب، وسعيد كان يرجع في علمه إلى عمر وزيد وأبي هريرة رضي الله عنهم. وقولك (على تلميذه ابن عباس) باطل، فإن رواية علي يسيرة، وغالب أخذه عن عمر وزيد رضي الله عنهما، وكان يفتي في أشياء بقول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وينازع علياً في مسائل.

ابن مطهر : لقد عاتب الله تعالى أصحاب محمد ﷺ في القرآن، وما ذكر علياً إلاّ بخير، وهذا يدل أنه أفضل، فيكون هو الإمام.

ابن تيمية : كذب ظاهر، فما عاتب أبا بكر رضي الله عنه، في القرآن قط. وعن النبي ﷺ أنه قال في خطبته: (أيها الناس، اعرفوا لأبي بكر حقه، فإنه لم يسؤني يوماً قط).

وهذا بخلاف خطبة بنت أبي جهل، فقد خطب النبي ﷺ الخطبة المعروفة، وما حصل هذا في حق أبي بكر رضي الله عنه قط.

ابن مطهر : قال تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ من تفسير الثعلبي وطريق أبي نعيم عن ابن عباس قال علي وفاطمة، بينهما برزخ النبي ﷺ، ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ الحسن والحسين، ولم تحصل لغيره من الصحابة هذه الفضيلة فيكون أولى بالإمامة.

ابن تيمية : إن هذا هذيان، ما هو تفسير للقرآن بل هو من وضع الملاحدة. ونحن نجد ضرورة لا تندفع أن ابن عباس رضي الله عنهما ما قال هذا.

ثم سورة الرحمن مكية بإجماع المسلمين، وإنما اتصل علي بفاطمة رضي الله عنها بالمدينة.

ثم تسمية هذين بحرين وهذا اللؤلؤ وهذا مرجان وجعل النكاح مرجاً أمر لا تحتمله لغة العرب بوجه، ثم نعلم أن آل إبراهيم عليه السلام - كإسماعيل وإسحاق عليهما السلام - أفضل من آل علي، فلا توجب الآية

تخصيصاً ولا أفضلية ، لو تنازلنا وخاطبنا من لا يعقل ما يخرج من رأسه . ثم إن الله تعالى قد ذكر ﴿ مرج البحرين ﴾ في آية أخرى ﴿ هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً ﴾ .

فأيها الملح الأجاج عندك أعلي أم فاطمة؟ ثم قوله ﴿ لا يبغيان ﴾ يقتضي أن البرزخ هو المانع من بغي أحدهما على الآخر، وهذا بالذم أشبه منه بالمدح.

ابن مطهر : وسموها أم المؤمنين، ولم يسموا غيرها بذلك.

ابن تيمية : هذا بهتان واضح لكل أحد، وجهل منك بل ما زالت الأمة قديماً وحديثاً يسمون أزواج النبي ﷺ ، أمهات المؤمنين اتباعاً لنص تسميتهم بالقرآن سوى الرافضة.

ابن مطهر : كيف استجاز طلحة والزبير وغيرهما مطاوعتها على ذلك، وبأي وجه يلقون رسول الله ﷺ ، مع أن الواحد منا مع امرأة غيره، أو أخرجها من منزلها أو سافر بها، كان أشد الناس عداوة له.

ابن تيمية : هذا من تناقض الرافضة وجهلهم، فإنهم يعظمون عائشة رضي الله عنها في هذا المقام طعناً في طلحة والزبير رضي الله عنهما ، ولا يعلمون أن هذا إن كان متوجهاً فالطعن في علي رضي الله عنه بذلك أوجه ، فإن طلحة والزبير رضي الله عنهما كانا معظمين عائشة رضي الله عنها، موافقين لها، مؤتمرين بأمرها، وهما وهي من أبعد الناس عن الفواحش والمعاونة عليها، فإن جاز للرافض أن يقدح فيهما بقوله (بأي وجه يلقون رسول الله ﷺ) مع أن الواحد منا لو تحدث مع امرأة غيره حتى أخرجها من منزلها وسافر بها. . . الخ. كان للناصبي أن يقول: بأي وجه يلقى رسول الله ﷺ من قاتل امرأته وسلط عليها أعوانه حتى عقروا بعيرها وسقت من هودجها وأعداؤ هاحولها كالمسبية التي أحاط بها من يقصد سباءها.

ومعلوم أن هذا في مظنة الاهانة لأهل الرجل، وذلك أعظم من إخراجها من منزلها، وهي بمنزلة الملكة المبجلة المعظمة التي لا يأتي إليها أحد إلَّا بإذنها.

ولم يكن طلحة والزبير رضي الله عنهما ولا غيرهما من الأجانب يحملونها، بل كان في المعسكر من محارمها مثل عبد الله بن الزبير ابن أختها ، وخلوته بها ومسه لها جائز بالكتاب والسُّنة والإجماع، وكذلك سفر المرأة مع ذي محرمها جائز بالكتاب والسُّنة والإجماع، وهي لم تسافر إلّا مع ذي محرمها وأما العسكر الذين قاتلوها فلولا أنه كان في المعسكر محمد بن أبي بكر مد يده إليها، لمد يده إليها الأجانب.

ولهذا دعت عائشة رضي الله عنها على من مد يده إليها وقالت: يد من هذه أحرقها الله بالنار؟ فقال: أي أخت، في الدنيا قبل الآخرة. فقالت: في الدنيا قبل الآخرة. فأحرق بالنار بمصر.

ابن مطهر : ان النبي ﷺ لعن معاوية الطليق بن الطليق وقال: (إذا رأيتموه على منبري فاقتلوه) وسموه (كاتب الوحي) ولم يكتب له كلمة من الوحي بل كان يكتب له رسائل.

ابن تيمية : ـ هذا الحديث ليس في شيء من كتب الإسلام، وهو عند الحفاظ كذب، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ثم قد صعد المنبر من هو شر من معاوية رضي الله عنه وما أمر بقتله.

وأما قولك (الطليق بن الطليق) فما هذا بصفة ذم، فإن الطلقاء غالبهم حسن إسلامهم كالحارث بن هشام ، وابن أخيه عكرمة، وسهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحكيم بن حزام وأمثالهم ، وكانوا من خيار المسلمين ، ومعاوية رضي الله عنه ممن حسن إسلامه، وولاه عمر رضي الله عنه بعد أخيه يزيد، ولم يكن عمر رضي الله عنه ممن يحابي، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

ابن مطهر : وسم معاوية الحسن.

ابن تيمية : لم يثبت. يقال إن امرأته سمته، وكان مطلاقاً رضي الله عنه فلعلها سمته لغرض، والله أعلم بحقيقة الحال، وقد قيل إن أباها الأشعث بن قيس أمرها بذلك، فإنه كان يتهم بالانحراف في الباطن عن علي وابنه الحسن رضي الله عنهما.

وإذا قيل إن معاوية رضي الله عنه أمر أباها كان ظناً محضاً والنبي ﷺ قال: (إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث) وبالجملة فمثل هذا لا يحكم به في الشرع باتفاق المسلمين، فلا يترتب عليه أمر ظاهر، لا قدح ولا ذم، ثم إن الأشعث بن قيس مات سنة أربعين، ولهذا لم يذكر في الصلح الذي كان بين معاوية والحسن بن علي رضي الله عنهم في العام الذي كان يسمى عام الجماعة وهو عام أحد وأربعين ، وكان الأشعث حما الحسن ابن علي رضي الله عنهما ، فلو كان شاهدا لكان يكون له ذكر في ذلك، وإذا كان قد مات قبل الحسن بنحو عشر سنين فكيف يكون هو الذي أمر ابنته؟.

مناظرة الواسطية [1]

يقول الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي أرسله إلى الخلق أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، وعلى سائر عباد الله الصالحين ، أما بعد : فقد سئلت غير مرة ، أن أكتب ما حضرني ذكره ، مما جرى في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة ، في أمر الاعتقاد بمقتضى ما ورد به كتاب السلطان، من الديار المصرية إلى نائبه أمير البلاد، لما سعى إليه قوم من الجهمية[2]، والإتحادية[3]، والرافضة[4]، وغيرهم من ذوي الأحقاد. فأمر الأمير بجمع القضاة الأربعة؛ قضاة المذاهب الأربعة ؛ وغيرهم من نوابهم ؛ والمفتين والمشائخ ؛ ممن لهم حرمة وبهم اعتداد. وهم لا يدرون ما قصد بجمعهم في هذا الميعاد، وذلك يوم الاثنين ثامن رجب المبارك ، عام خمس وسبعمائة[5].

فقال لي: هذا المجلس عقد لك ، فقد ورد مرسوم السلطان بأن أسألك

---

(١) مجموع الفتاوي (٣/١٦٠ - ١٩٣).

(٢) هم أصحاب جهم بن صفوان ، وهم من الجبرية الخالصة ومن نفاة الصفاة .

(٣) هم من فرق الفلاسفة الذين التبست عليهم بعض العقائد والديانات

(٤) هم من رفضوا خلافة الشيخين .

(٥) راجع البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٣٦) ط. دار الفكر العربي.

عن اعتقادك، وعما كتبت به إلى الديار المصرية من الكتب التي تدعو بها الناس إلى الاعتقاد، وأظنه قال: وان أجمع القضاة، والفقهاء، وتتباحثون في ذلك.

فقلت: أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني، ولا عمن هو أكبر مني؛ بل يؤخذ عن الله، ورسوله ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة، مثل صحيح البخاري ومسلم.

وأما الكتب، فما كتبت لأحـد كتاباً ابتداءً أدعوه به إلى شيء من ذلك، ولكني كتبت أجوبة أجبت بها من يسألني: من أهل الديار المصرية وغيرهم، وكان قد بلغني أن زور عليَّ كتاب إلى الأمير ركن الدين الجاشنكير، أستاذ دار السلطان، يتضمن ذكر عقيدة محرفة، ولم أعلم بحقيقته؛ لكن علمت أنه مكذوب.

وكان يرد عليَّ من مصر وغيرها من يسألني عن مسائل في الاعتقاد وغيره فأجيبه بالكتاب والسُّنة، وما كان عليه سلف الأمة. فقال: نريد أن تكتب لنا عقيدتك، فقلت: اكتبوا. فأمر الشيخ كمال الدين أن يكتب؛ فكتب له جمل الاعتقاد في أبواب الصفات والقدر، ومسائل الإيمان والوعيد، والإمامة والتفضيل.

وهو أن اعتقاد أهل السنة والجماعة: الإيمان بما وصف الله به نفسه، وبما وصف الله به نفسه، وبما وصف به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وأن القرآن كلام الله غير المخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

والإيمان بأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه أمر بالطاعة، وأحبها ورضيها؛ ونهى عن المعصية وكرهها. والعبد فاعل حقيقة، والله خالق فعله، وأن الإيمان والدين قول وعمل، يزيد وينقص، وأن لا تكفر أحداً من أهل القبلة بالذنوب، ولا نخلد في النار من أهل الإيمان أحداً، وأن الخلفاء بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وأن مرتبتهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، ومن قدم علياً

على عثمان ، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار وذكرت هذا أو نحوه ، فإني الآن قد بعد عهدي، ولم أحفظ لفظ ما أمليته ، لكنه كتب إذ ذاك .
ثم يقول ابن تيمية رحمه الله:

ثم قلت للأمير والحاضرين: أنا أعلم أن أقواماً يكذبون عليَّ؛ كما قد كذبوا على غير مرة . وإن أمليت الاعتقاد من حفظي ؛ ربما يقولون كتم بعضه ، أو داهن أو دارى، فأنا أُحضر عقيدة مكتوبة؛ من نحو سبع سنين قبل مجيء التتر إلى الشام.

وقلت قبل حضورها كلاماً قد بعد عهدي به، وغضبت غضباً شديداً، لكني أذكر أني قلت: أنا أعلم أن أقواماً كذبوا عليَّ وقالوا للسلطان أشياء، وتكلمت بكلام احتجبت إليه ؛ مثل أن قلت : من قام بالإسلام أوقات الحاجة غيري؟ ومن الذي أوضح دلائله وبينه؟ وجاهد أعداءه وأقامه لما مال؟ حين تخلى عنه كل أحد؛ ولا أحد ينطق بحجته ولا أحد يجاهد عنه وقمت مظهراً لحجته مجاهداً عنه مرغباً فيه؟.

فإذا كان هؤلاء يطمعون في الكلام فيَّ فكيف يصنعون بغيري؟! ولو أن يهودياً طلب من السلطان الانصاف لوجب عليه أن ينصفه؛ وأنا قد أعفو عن حقي وقد لا أعفو؛ بل قد أطلب الانصاف منه ، وأن يحضر هؤلاء الذين يكذبون ؛ ليوافقوا على افترائهم، وقلت كلاماً أطول من هذا الجنس ؛ لكن بعد عهدي به ، فأشار الأمير إلى كاتب الدرج محيي الدين بأن يكتب ذلك.

ثم يستطرد ابن تيمية في ثقة وعلم وفضيلة :

كل من خالفني في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه ، وما أدري هل قلت هذا قبل حضورها أو بعده ؛ لكنني قلت أيضاً بعد حضورها وقراءتها ، ما ذكرت فيها فصلاً إلاَّ وفيه مخالف من المنتسبين إلى القبلة ، وكل جملة فيها خلاف لطائفة من الطوائف ، ثم أرسلت من أحضرها، ومعها كراريس بخطي من المنزل ، فحضرت « العقيدة الواسطية ».

وقلت لهم: هذه كان سبب كتابتها أنه قدم عليَّ من أرض واسط بعض

قضاة نواحيها ـ شيخ يقال له « رضى الدين الواسطي » من أصحاب الشافعي ـ قدم علينا حاجاً، وكان من أهل الخير والدين ، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد، وفي دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ، ودروس الدين والعلم ، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته ، فاستعفيت من ذلك ، وقلت قد كتب الناس عقائد متعددة ، فخذ بعض عقائد أئمة السنة. فألح في السؤال وقال: ما أحب إلاَّ عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة، وأنا قاعد بعد العصر، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة في مصر والعراق وغيرهما.

فأشار الأمير بأن لا أقرأها أنا لرفع الريبة، وأعطاها لكاتبه الشيخ كمال الدين، فقرأها على الحاضرين حرفاً حرفاً، والجماعة الحاضرون يسمعونها، ويورد المورد منهم ما شاء، ويعارض فيها شاء، والأمير أيضاً يسأل عن مواضع فيها، وقد علم الناس ما كان في نفوس طائفة من الحاضرين، من الخلاف والهوى، ما قد علم الناس بعضه، وبعضه بسبب الاعتقاد، وبعضه بغير ذلك.

ولا يمكن ذكر ما جرى من الكلام ، والمناظرات في هذه المجالس، فإنه كثير لا ينضبط؛ لكن أكتب ملخص ما حضرني من ذلك، مع بعد العهد بذلك، ومع أنه كان يجري رفع أصوات ولغط لا ينضبط.

فكان مما اعترض عليَّ بعضهم ـ لما ذكر في أولها ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، فقال: ـ ما المراد بالتحريف والتعطيل؟ ومقصوده أن هذا ينفي التأويل، الذي أثبته أهل التأويل، الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره ، إما وجوباً وإما جوازاً .

فقلت: تحريف الكِلَم عن مواضعه كما ذمه الله تعالى في كتابه، وهو إزالة اللفظ عما دل عليه من المعنى، مثل تأويل بعض الجهمية لقوله تعالى: ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ أي جرحه بأظافير الحكمة تجريحاً، ومثل تأويلات القرامطة؛ والباطنية وغيرهم وغيرهم من الجهمية والرافضة والقدرية وغيرهم ، فسكت وفي نفسه ما فيها .

وذكرت في غير هذا المجلس: أني عدلت عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف؛ لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه، وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة ، فنفيت ما ذمه الله من التحريف ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات ، لأنه لفظ له عدة معان ، كما بينته في موضعه من القواعد، فإن معنى لفظ التأويل في كتاب الله، غير معنى لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين، من أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف، لأن من المعاني التي قد تسمى تأويلاً ما هو صحيح، منقول عن بعض السلف، فلم أنف ما تقوم الحجة على صحته، فإذا ما قامت الحجة على صحته وهو منقول عن السلف، فليس من التحريف.

وقلت له أيضاً: ذكرت في النفي التمثيل، ولم أذكر التشبيه، لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وقال : ﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ وكان أحب إليَّ من لفظ ليس في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله ﷺ ، وإن كان قد يعني بنفيه معنى صحيح ، كما قد يعني به معنى فاسد .

ولما ذكرت أنهم لا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ، جعل بعض الحاضرين يتمعض من ذلك ؛ لاستشعاره ما في ذلك من الرد الظاهر عليه؛ ولكن لم يتوجه له ما يقوله ؛ وأراد أن يدور بالأسئلة التي أعلمها، فلم يتمكن لعلمه بالجواب.

ولما ذكرت آية الكرسي : أظنه سأل الأمير عن قولنا: لا يقربه شيطان حتى يصبح ، فذكرت حديث أبي هريرة في الذي كان يسرق صدقة الفطر، وذكرت أن البخاري رواه في صحيحه ، وأخذوا يذكرون نفي التشبيه والتجسيم ، ويطنبون في هذا ، ويعرضون لما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : فقلت قولي من غير تكييف ولا تمثيل ينفي كل باطل، وإنما اخترت هذين الاسمين لأن التكييف مأثور نفيه عن السلف كما قال ربيعة، ومالك، وابن عيينة وغيرهم. ـ المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول ـ «الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » . فاتفق هؤلاء السلف على أن التكييف غير معلوم لنا ، فنفيت ذلك اتباعاً لسلف الأمة .

وهو أيضاً منفي بالنص والإجماع القديم، مع دلالة العقل على نفيه، ونفي التكييف إذ كنه الباري غير معلوم للبشر، وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي الذي نقل أنه مذهب السلف، وهو إجراء آيات الصفات ، وأحاديث الصفات على ظاهرها ، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها ؛ إذ الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، يحتذي فيه حذوه، ويتبع فيه مثاله ، فإذا كان إثبات الذات : إثبات وجود لا إثبات تكييف ، فكذلك إثبات الصفات : إثبات وجود لا إثبات تكييف.

فقال أحد كبار المخالفين : فحينئذ يجوز أن يقال : هو جسم لا كالأجسام فقلت له أنا وبعض الفضلاء الحاضرين : إنما قيل أنه يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ وليس في الكتاب والسُّنة أن الله جسم ، حتى يلزم هذا السؤال.

وأخذ بعض القضاة الحاضرين، والمعروفين بالديانة، يريد إظهار أن ينفي عنا ما يقول وينسبه البعض إلينا، فجعل يزيد في المبالغة في نفي التشبيه ، والتجسيم ، فقلت : ذكرت فيها في غير موضع من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ثم قلت : وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح، التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول، وجب الإيمان بها كذلك، إلى أن قلت : إلى أمثال هذه الأحاديث الصحاح، التي يخبر فيها رسول الله ﷺ ، بما يخبر به، فإن الفرقة الناجية، أهل السُّنة والجماعة، يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله في كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم وسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم.

فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية ، وبين أهل التمثيل المشبهة .

ولما رأى هذا الحاكم العدل: ممالاتهم وتعصبهم، ورأى قلة العارف الناصر، وخافهم قال: أنت صنفت اعتقاد الإمام أحمد، فتقول هذا اعتقاد

الإمـام أحمد، يعني والـرجل يصنف عـلى مذهبـه فلا يعتـرض عليه، فـإن هـذا مذهب متبوع، وغرضه بذلك قطع مخاصمة الخصوم.

فقلت : ما جمعت إلاَّ عقيدة السلف الصالح جميعهم، ليس لـلإمام أحمـد اختصاص بهذا، والإمام أحمد إنما هو مبلغ العلم الذي جاء بـه النبي ﷺ ، ولو قـال أحمد من تلقـاء نفسه مـا لم يجيء به الـرسول لم نقبله ، وهـذه عقيدة محمـد ﷺ !!.

وقلت مرات : قد أمهلت كل من خالفني في شيء منها ثلاث سنين ، فإن جـاء بحرف واحـد عن أحد من القـرون الثلاثـة ـ التي أثنى عليهـا النبي ﷺ ، حيث قال: « خير القرون القرن الذي بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ـ يخـالف ما ذكـرته فـأنا أرجـع عن ذلـك ، وعـلى أن آتي بنقـول جميـع الـطوائف ـ عن القرون الثـلاثة، تـوافق ما ذكـرته ـ من الحنفيـة ، والمـالكيـة ، والشافعية ، والحنبلية ، والأشعرية ، وأهل الحديث ، والصوفية ، وغيرهم .

وقلت أيضاً في غير هذا المجلس: الإمام أحمـد ـ رحمه الله ـ لمـا انتهى إليه من السنة، ونصوص رسول الله ﷺ ، أكثر مما انتهى إلى غيره ، وابتلى بالمحنة ، والرد على أهل البدع ، أكثر من غيره ، كان كلامـه وعلمه في هـذا الباب أكـثر من غيره، فصار إماماً في السنة أظهر من غيره، وإلاَّ فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة ـ العلماء الصلحاء ـ قال: المذهب لمالك والشافعي، والـظهور لأحمـد بن حنبل .

يعني أن الـذي كان عليـه أحمد، عليـه جميـع أئمـة الإسـلام ، وإن كـان لبعضهم من زيادة العلم والبيان ، وإظهار الحق ودفع الباطل ما ليس لبعض.

ولما جاء فيها: وما وصف بـه النبي ﷺ ربه في الأحـاديث الصحاح، التي تلقـاهـا أهـل العلم بـالقبـول، ولمـا جـاء حـديث أبي سعيـد ـ المتفق عليـه في الصحيحين عن النبي ﷺ ، يقول الله يوم القيامة :

« يا آدم فيقول : لبيـك وسعديـك ، فينادي بصـوت : إن الله يأمـرك أن تبعث بعثـاً إلى النار، الحـديث ـ سألهم الأمـير: هـل هـذا الحـديث صحيـح ؟

فقلت : نعم . هو في الصحيحين ، ولم يخالف في ذلك أحد، واحتاج المنازع إلى الإقرار به ، ووافق الجماعة على ذلك . وطلب الأمير الكلام في مسألة الحرف والصوت ؛ لأن ذلك طُلب منه .

فقلت : هنا الذي يحكيه كثير من الناس، عن الإمام أحمد وأصحابه ، أن صوت القارئين ومداد المصاحف قديم أزلي ـ كما نقله مجد الدين الخطيب وغيره ـ كذب مفترى، لم يقل ذلك أحمد، ولا أحد من علماء المسلمين ؛ لا من أصحاب أحمد ولا من غيرهم.

وأخرجت كراساً قد أحضرته مع العقيدة، فيه ألفاظ أحمد، مما ذكره الشيخ أبو بكر الخلال، في كتاب السنة عن الإمام أحمد، وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزي من كلام الامام أحمد، وكلام أئمة زمانه وسائر أصحابه: أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع.

يقول ابن تيمية رحمه الله: قلت: وهذا هو الذي نقله الأشعري، في كتاب المقالات ، عن أهل السنة ، وأصحاب الحديث ، وقال : إنه يقول به . قلت : فكيف بمن يقول : لفظي قديم ؟ فكيف بمن يقول : صوتي غير مخلوق؟ فكيف بمن يقول: صوتي قديم؟.

ونصوص الإمام أحمد في الفرق بين تكلم الله بصوت ، وبين صوت العبد ، كما نقله البخاري صاحب الصحيح في كتاب خلق أفعال العباد وغيره من أئمة السنة .

وأحضرت جواب مسألة كنت سئلت عنها قديماً، فيمن حلف بالطلاق في مسألة «الحرف والصوت» ومسألة «الظاهر في العرش» فذكرت من الجواب القديم في هذه المسألة، وتفصيل القول فيها، وأن إطلاق القول أن القرآن هو الحرف والصوت ، أو ليس بحرف وصوت : كلاهما بدعة، حدثت بعد المائة الثالثة، وقلت : هذا جوابي.

وكانت هذه المسألة : قد أرسل بها طائفة من المعاندين المتجهمة ، ممن

كان بعضهم حاضراً في المجلس، فلما وصل إليهم الجواب أسكتهم، وكانوا قد ظنوا أني إن أجبت بما في ظنهم أن أهل السنة تقول: حصل مقصودهم من الشناعة، وإن أجبت بما يقولونه هم: حصل مقصودهم من الموافقة، فلما أجيبوا بالفرقان الذي عليه أهل السنة، وليس هو ما يقولونه هم، ولا ما ينقلونه عن أهل السنة، إذ قد يقوله بعض الجهال بهتوا لذلك؛ وفيه أن القرآن كله كلام الله حروفه ومعانيه، ليس القرآن إسماً لمجرد الحروف، ولا لمجرد المعاني.

وقلت في ضمن الكلام لصدر الدين بن الوكيل - لبيان كثرة تناقضه، وأنه لا يستقر على مقالة واحدة، وإنما يسعى في الفتن والتفريق بين المسلمين - عندي عقيدة للشيخ أبي البيان. فيها أن من قال: إن حرفاً من القرآن مخلوق فقد كفر.

وقد كتبت عليها بخطك، أن هذا مذهب الشافعي، وأئمة أصحابه، وانك تدين الله بها فاعترف بذلك، فأنكر عليه الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ذلك.

فقال ابن الوكيل: هذا نص الشافعي. وراجعه في ذلك مراراً، فلما اجتمعنا في المجلس الثاني[1]: ذكر لابن الوكيل أن ابن درباس نقل في كتاب الانتصار عن الشافعي مثل ما نقلت.

فلما كان في المجلس الثالث[2]: أعاد ابن الوكيل الكلام في ذلك.

فقال الشيخ كمال الدين لصدر الدين بن الوكيل: قد قلت في ذلك المجلس للشيخ تقي الدين: أنه من قال إن حرفاً من القرآن مخلوق فهو كافر، فأعاده مراراً فغضب هنا الشيخ كمال الدين غضباً شديداً، ورفع صوته، وقال:

---

(١) وقد عقد المجلس الثاني يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر من رجب سنة ٧٠٥ هـ. قال فيها ابن كثير في تاريخه المشهور: «وحضر الشيخ صفي الدين الهندي وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلاماً كثيراً، ولكن ساقيته لاطمت بحراً» البداية والنهاية (٣٦/١٤) بتصرف.

(٢) أما المجلس الثالث فقد عقد يوم سابع شعبان سنة ٧٠٥ هـ، وقد اجتمع أمر الجماعة على الرضى بالعقيدة المذكورة (٣٧/١٤) بتصرف من البداية والنهاية.

هـذا يكفر أصحـابنا المتكلمـين الأشعريـة، الذين يقـولون: إن حـروف القـرآن مخلوقة، مثل إمام الحرمين وغيره، وما تصبر على تكفير أصحابنا.

فأنكر ابن الوكيل أنه قال ذلـك، وقال: مـا قلت ذلك؛ وإنمـا قلت: من أنكر حرفاً من القرآن فقد كفر، فرد ذلك عليه الحاضرون، وقالـوا: ما قلت إلاَّ كذا وكذا، وقالوا: ما ينبغي لك أن تقول قولاً وترجع عنـه، وقال بعضهم: مـا قال هذا، فلما حرفوا، قال ما سمعناه قال هذا، حتى قال نائب السلطان: واحد يكذب، وآخر يشهد، والشيخ كمال الدين مغضب! فالتفت إلى قاضي القضاة، نجم الدين الشافعي يستصرخه للانتصار على ابن الوكيل، حيث كفر أصحابه.

فقال القاضي نجم الدين: ما سمعت هذا، فغضب الشيخ كمال الدين، وقال كلاماً لم أضبط لفظه، إلاَّ أن معناه: أن هذا غضاضة على الشافعي، وعـارٌ عليهم أن أئمتهم يكفرون ولا ينتصر لهم.

ولم أسمـع من الشيخ كمـال الدين مـا قاله في حق القـاضي نجم الدين، واستثبت من غيري ممن حضر هـل سمع منـه في حقه شيئـاً؟ فقالـوا: لا. لكن القـاضي اعتقـد أن التعبـير لأجله، ولكـونـه قـاضي المـذهب، ولم ينتصـر لأصحابه، وأن الشيخ كمال الدين قصده بـذلك، فغضب قـاضي القضاة نجم الـدين، وقال: اشهـدوا علـيَّ أني عـزلت نفسي، وأخـذ يـذكـر مـا يستحق بـه التقديم، والاستحقاق، وعفته عن التكلم في أعراض الجماعة، ويستشهد بنائب السلطان في ذلـك، وقلت له كـلاماً مضمـونه تعـظيمه، واستحقـاقـه، لـدوام المباشرة في هذه الحال.

ولما جاءت مسألة القرآن: ومن الإيمان بـه الإيمان بـأن القرآن كـلام الله، غير مخلوق، منه بـدأ وإليه يعـود: نازع بعضهم في كـونه منه بدأ وإليـه يعود، وطلبوا تفسير ذلك.

فقلت: أما هذا القول: فهو المـأثور، الثـابت عن السلف، مثل مـا نقله عمرو بن دينار، قال: أدركت الناس منذ سبعين سنة، يقولون: الله الخالق ومـا سواه مخلوق، إلاَّ القرآن، فإنه كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

وقد جمع غير واحد ما في ذلك من الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، كالحافظ أبي الفضل بن ناصر، والحافظ أبي عبد الله المقدسي، وأما معناه، فإن قولهم: منه بدأ أي هو المتكلم به، وهو الذي أنزله من لدنه، ليس هو كما تقول الجهمية، أنه خلق في الهوى أو غيره، أو بدأ من عند غيره .

وأما إليه يعود، فإنه يسري به في آخر الزمان، من المصاحف والصدور، فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف، ووافق على ذلك غالب الحاضرين ، وسكت المنازعون .

وخاطبت بعضهم في غير هذا المجلس بأن أريته العقيدة التي جمعها الإمام القادري ، التي فيها أن القرآن كلام الله، خرج منه فتوقف في هذا اللفظ، فقلت: هكذا قال النبي ﷺ : - « ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه» يعني القرآن ، وقال خباب بن الأرت: يا هنتاه!! تقرب إلى الله بما استطعت، فلن يتقرب إليه بشيء أحب إليه مما خرج منه .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - لما قرأ قرآن مسيلمة الكذاب - إن هذا الكلام لم يخرج من إل - يعني رب - .

وجاء فيها : أن من الإيمان به : - الإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن - الذي أنزله الله على محمد ﷺ - هو كلام الله حقيقة ، لا كلام غيره ، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله، أو عبارة ، بل إذا قرأه الناس ، أو كتبوه في المصاحف، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله ، فإن الكلام إنما يضاف، حقيقة إلى من قاله مبتدأً، لا إلى من قاله مبلّغاً مؤدياً، فتمعض بعضهم من اثبات كونه كلام الله حقيقة ، بعد تسليمه أن الله تعالى تكلم به حقيقة .

ثم إنه سلم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه، وهذا لا يصح نفيه، ولما بين له أن أقوال المتقدمين المأثورة عنهم وشعر الشعراء المضاف إليهم هو كلامهم حقيقة، فلا يكون نسبة القرآن إلى الله بأقل من ذلك. فوافق الجماعة كلهم على

ما ذكر في مسألة القرآن ، وأن الله تكلم حقيقة، وأن القرآن كلام الله حقيقة لا كلام غيره .

ولما ذكر فيها: أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلِّغاً مؤدياً: استحسنوا هذا الكلام وعظَّموه ، وأخذ أكبر الخصوم يظهر تعظيم هذا الكلام، كابن الوكيل وغيره، وأظهر الفرح بهذا التلخيص، وقال: إنك قد أزلت عنا هذه الشبهة، وشفيت الصدور، ويذكر أشياء من هذا النمط.

ولما جاء ما ذكر من الإيمان باليوم الآخر، وتفصيله ونظمه: استحسنوا ذلك وعظموه، وكذلك لما جاء ذكر الإيمان بالقدر وأنه على درجتين، إلى غير ذلك مما فيها من القواعد الجليلة.

وكذا لما جاء ذكر الكلام في الفاسق الملي، وفي الإيمان، لكان اعترضه على ذلك بما سأذكره، وكان مجموع ما اعترض به المنازعون، المعاندون بعد انقضاء قراءة جميعها، والبحث فيها عن أربعة أسئلة:

الأول : قولنا ومن أصول الفرقة الناجية أن الإيمان والدين قولٌ وعمل ، يزيد وينقص ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح .

قالوا : فإذا قيل إن هذا من أصول الفرقة الناجية، خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل بذلك، مثل أصحابنا المتكلمين ، الذين يقولون إن الإيمان هو التصديق، ومن يقول الإيمان هو التصديق والإقرار، وإذا لم يكونوا من الناجين: لزم أن يكونوا هالكين. وأما الأسئلة الثلاثة: وهي التي كانت عمدتهم فأوردوها على قولنا، وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله، الإيمان بما أخبر الله في كتابه، وتواتر عن رسول الله ﷺ ، وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه، علي على خلقه ، وهو معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون ، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى : - ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل

من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾[1].

وليس معنى قوله ﴿ هو معكم ﴾ أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر أينما كان، وغير المسافر، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطَّلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.

وكل هذا الكلام الذي ذكره الله تعالى من أنه فوق العرش، وأنه معنا حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان على الظنون الكاذبة.

السؤال الثاني: قال بعضهم: نقر باللفظ الوارد، مثل حديث العباس، حديث الأوعال، والله فوق العرش، ولا نقول فوق السموات، ولا نقول على العرش، وقالوا أيضاً: نقول ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾[2]. ولا نقول الله على العرش استوى، ولا نقول مُسْتوٍ، وأعادوا هذا المعنى مراراً، أي أن اللفظ الذي ورد، يقال اللفظ بعينه، ولا يبدل بلفظ يرادفه، ولا يفهم له معنى أصلاً، ولا يقال إنه يدل على صفة لله أصلاً، ونبسط الكلام في هذا في المجلس الثاني كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

السؤال الثالث: قالوا: التشبيه بالقمر فيه تشبيه كون الله في السماء، بكون القمر في السماء.

السؤال الرابع: قالوا: قولك حق على حقيقته، الحقيقة هي المعنى اللغوي، ولا يفهم من الحقيقة اللغوية إلَّا استواء الأجسام وفوقيتها؛ ولم تضع العرب ذلك إلَّا لها، فإثبات الحقيقة هو محض التجسيم، ونفي التجسيم مع هذا تناقض أو مصانعة.

فأجبتهم عن الأسئلة، بأن قولي اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي

---

(١) الحديد (٥٧/٤) راجع تفسير الآية الكريمة في مختصر ابن كثير (٣/٤٤٥).
(٢) طه (٢٠/٥).

وصفها النبي ﷺ بالنجاة، حيث قال: ـ « تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النـار وواحدة في الجنـة، وهي من كان عـلى مثل مـا أنا عليـه اليوم وأصحابي »(1) . فهذا الاعتقاد : هـو المأثـور عن النبي ﷺ ، وأصحابـه رضي الله عنهم ، وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية، فإنه قد ثبت عن غير واحـد من الصحابة أنه قال: الإيمان يزيد وينقص، وكل ما ذكرتـه في ذلك فـإنه مـأثور عن الصحابة بالأسانيد الثابتة لفظه ومعناه ، وإذا خالفهم من بعـدهم لم يضر في ذلك .

ثم قلت لهم: وليس كـل من خالف في شيء من هـذا الاعتقـاد يجب أن يكون هالكـاً، فإن المنـازع قد يكـون مجتهداً مخـطئاً يغفـر الله له خـطأه، وقد لا يكـون بلَغه في ذلـك من العلم ما تقـوم بـه عليـه الحجـة ، وقـد يكـون لـه من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته ؛ وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول ، والقانت ، وذو الحسنات الماحية ، والمغفور له وغـير ذلك : فهذا أولى، بل مـوجب هذا الكـلام أن من اعتقد ذلـك نجا في هـذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجياً ، وقد لا يكون ناجياً ، كـما يقال: من صمت نجا.

وأما السؤال الثاني: فأجبتهم أولاً بأن كل لفظ قلته فهـو مأثـور عن النبي ﷺ ، مثل لفظ فوق السموات ، ولفظ على العرش وفوق العرش، وقلت اكتبوا الجواب ، فأخذ الكاتب في كتابته ، ثم قـال بعض الجماعـة : قد طـال المجلس اليوم ، فيؤخر هذا إلى مجلس آخر ، وتكتبون أنتم الجواب ، وتحضرونه في ذلك المجلس.

فـأشار بعض الموافقين بـأن يتمم الكلام بكتـابـة الجـواب ، لئـلا تنتشـر أسئلتهم واعتـراضهم ، وكان الخصـوم لهم غرض في تـأخـير كتـابـة الجـواب ؛ ليستعـدوا لأنفسهم ، ويطالعـوا ، ويحضروا من غـاب من أصحـابهم ، يتـأملوا

---

(1) راجع روايات هذا الحديث في كشف الخفا للعجلوني (1/369، 370) ومن هذا الحديث نفهم أن الفرقة الناجية هم أهل السنة، الذين يعملون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

العقيدة فيما بينهم ، ليتمكنوا من الطعن والاعتـراض ، فحصل الاتفـاق على أن يكون تمام الكلام يوم الجمعة ، وقمنا على ذلك .

وقـد أظهر الله من قيـام الحجة ، وبيـان المحجة ، مـا أعز الله بـه السُّنـة والجماعة، وأرغم به أهل البدعة والضلالة، وفي نفوس كثير من النـاس أمورٌ لمـا يحدث في المجلس الثاني، وأخذوا في تلك الأيام يتـأملونها ، ويتأملون مـا أجبت بـه في مسائـل تتعلق بالاعتقـاد، مثل «المسـألة الحمـوية» في الاستـواء والصفات الخبرية وغيرها.

* * *

فلما كـان المجلس الثاني يـوم الجمعة في اثني عشـر رجب ، وقد أحضـروا أكثر شيوخهم ممن لم يكن حاضراً ذلك المجلس، وأحضروا معهم زيادة « صفي الدين الهندي » وقالوا : هذا أفضل الجماعة وشيخهم في علم الكـلام ، وبحثوا فيها بينهم ، واتفقوا وتواطئوا ، وحضروا بقوة واستعداد غير ما كانـوا عليه ، لأن المجلس الأول أتاهم بغتة ، وإن كان أيضاً بغتة للمخاطب ، الذي هو المسؤول والمجيب والمناظر.

فلما اجتمعنا: وقد أحضرت ما كتبتـه من الجواب عن أسئلتهم المتقـدمة، التي طلبـوا تأخيـره إلى اليوم : حمدت الله بخطبـة الحاجـة ، خطبـة ابن مسعود رضي الله عنه ، ثم قلت : إن الله تعالى أمرنا بالجماعـة والائتلاف ، ونهانـا عن الفرقة والاختلاف .

وقال لنا في القرآن: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾[1] وقال : ﴿ إن الـذين فرقـوا دينهم وكانـوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾[2] وقـال : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ﴾[3].

وربنا واحد وكتابنا واحد ، ونبينا واحـد وأصول الـدين لا تحتمل التفـرق

---

(١) آل عمران (٣/١٠٣).
(٢) الأنعام (٦/١٥٩).
(٣) آل عمران (٣/١٠٥).

والاختلاف ، وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين ، وهو متفق عليه بين السلف، فإن وافق الجماعة فالحمد لله، وإلاَّ فمن خالفني بعد ذلك، كشفت له الأسرار، وهلَكت الأستار، وبينت المذاهب الفاسدة التي أفسدت الملل والدول، وأنا أذهب إلى سلطان الوقت على البريد، وأعرفه من الأمور ما لا أقوله في هذا المجلس، فإن للسن كلاماً، وللحرب كلاماً. وقلت : لا شك أن الناس يتنازعونِ ، يقول هذا أنا حنبلي، ويقول هذا أنا أشعري، ويجري بينهم تفرق وفتن، واختلاف على أمور لا يعرفون حقيقتها .

وأنا أحضرت ما يبين اتفاق المذاهب فيما ذكرته ، وأحضرت : (كتاب تبيين كذب المفتري، فيما ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله) تأليف الحافظ أبي القاسم بن عساكر رحمه الله .

وقلت : لم يصنف في أخبار الأشعري المحمودة كتاب مثل هذا ، فقد ذكر فيه لفظة الذي ذكره في كتابه (الإبانة).

فلما انتهيت إلى ذكر المعتزلة ، سأل الأمير عن معنى المعتزلة ، فقلت : كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق الملي، وهو أول اختلاف حدث في الملة، هل هو كافر أو مؤمن؟.

فقالت الخوارج : إنه كافر . وقالت الجماعة : إنه مؤمن . وقالت طائفة : نقول هو فاسق ، لا مؤمن ولا كافر ، ننزله منزلة بين المنزلتين ، وخلدوه في النار، واعتزلوا حلقة الحسن البصري وأصحابه ـ رحمه الله تعالى ـ فسموا المعتزلة .

وقال الشيخ الكبير بجبته وردائه : ليس كما قلت ، ولكن أول مسألة اختلف فيها المسلمون ، مسألة الكلام وسمي المتكلمون متكلمين لأجل تكلمهم في ذلك، وكان أول من قالها: عمرو بن عبيد ، ثم خلفه بعد موته عطاء بن واصل ، هكذا قال وذكر نحواً من هذا.

فغضبت عليه وقلت : أخطأت ، وهذا كذب مخالفة للإجماع . وقلت له : لا أدب ولا فضيلة ، لا تأدبت معي في الخطاب ، ولا أصبت في الجواب!!

ثم قلت : الناس اختلفوا في مسألة الكلام ، في خلافة المأمون ، وبعدها في أواخر المائة الثانية ، وأما المعتزلة فقد كانوا قبل ذلك بكثير، في زمن عمرو بن عبيد بعد موت الحسن البصري ، في أوائل المائة الثانية ، ولم يكن أولئك قد تكلموا في مسألة الكلام ، ولا تنازعوا فيها ، وإنما أول بدعتهم تكلمهم في مسائل الأسماء والأحكام والوعيد .

فقال : هذا ذكره الشهرستاني في كتاب (الملل والنحل) فقلت: الشهرستاني ذكر ذلك في اسم المتكلمين ، لما سموا متكلمين؟ لم يذكره في اسم المعتزلة .

والأمير إنما سأل عن اسم المعتزلة ، وأنكر الحاضرون عليه ، وقالوا : غلط . وقلت : في ضمن كلامي أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام ، وأول من ابتدعها ، وما كان سبب ابتداعها . وأيضاً فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين ، فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الإسم قبل منازعتهم في مسألة الكلام ، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء إنه متكلم ، ويصفونه بالكلام ، ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام .

وقلت: أنا وغيري إنما هو واصل بن عطاء، أي: لا عطاء بن واصل كما ذكره المعترض، قلت : وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد ، وإنما كان قريبه .

وقد روى أن واصل بن عطاء تكلم مرة بكلام ، فقال عمرو بن عبيد: لو بعث نبي ما كان يتكلم بأحسن من هذا ، وفصاحته مشهورة حتى قيل إنه كان ألثغ وكان يحترز عن الراء حتى قيل له : أمر الأمير أن يحفر بئراً . فقال : أوعز القائد أن يقلب قليب في الجادة. ولما انتهى الكلام إلى ما قاله الأشعري قال الشيخ المقدم فيهم : لا ريب أن الامام أحمد إمام عظيم القدر، ومن أكبر أئمة الإسلام، لكن قد انتسب إليه أناس ابتدعوا أشياء، فقلت: أما هذا فحق، وليس هذا من خصائص أحمد، بل ما من إمام إلاّ وقد انتسب إليه أقوام هو منهم بريء، قد انتسب إلى مالك أناس مالك بريء منهم، وانتسب إلى

الشافعي أناس هـو بريء منهم، وانتسب إلى أبي حنيفـة أناس هـو بريء منهم، وقد انتسب إلى موسى أنـاس هو منهم بـريء، وانتسب الى عيسى عليه السـلام أناس هو منهم بريء، وقد انتسب إلى علي بن أبي طالب أناس هو بريء منهم ، ونبينـا ﷺ قد انتسب إليـه من القرامـطة والباطنيـة وغيرهـم من أصنـاف الملحدة والمنافقين ، من هو بريء منهم .

وذكر في كلامـه ، إنه انتسب إلى أحمـد ناسٌ من الحشـوية والمشبهـة ونحو هذا الكلام ، فقلت : المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الإمام أحمد أكـثر منهم فيهم ، هؤلاء أصناف الأكراد كلهم شافعية ، وفيهم من التشبيه والتجسيم ، ما لا يـوجد في صنف آخـر ، وأهل جيـلان فيهم شافعيـة وحنبليـة ، قلت : وأمـا الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم .

وكان من تمام الجواب أن الكراميـة المجسمة كلهم حنفيـة ، وتكلمت على لفظ الحشوية ـ ما أدري جوابـاً عن سؤال الأمير أو غيـره، أو عن غير جـواب ـ فقلت: هـذا اللفظ أول من ابتدعـه المعتزلـة؛ فإنهم يسمـون الجماعـة والسـواد الأعظم الحشو ؛ كما تسميهم الرافضة الجمهور ، وحشو الناس هم عموم الناس وجمهورهم ، وهم غير الأعيان المتميزين ، يقولون هذا من حشو الناس كما يقـال هذا من جمهورهم .

وأول من تكلم بهذا عمرو بن عبيد ، وقال : كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه حشوياً : فالمعتزلة سموا الجماعة حشواً، كما تسميه الرافضة الجمهور .

وقلت : لا أدري ـ في المجـلس الأول أو الثـاني ـ أول مـن قـال ان الله جسم هشام بن الحكم الرافضي .

وقلت لهذا الشيخ : من في أصحاب الإمام أحمد رحمه الله حشوي، بالمعنى الذي تريده؟ الأثرم، أبو داود، المروذي، الخلال، أبو بكر بن عبد العزيز، أبو الحسن التميمي، ابن حامد، القاضي أبو يعلى، أبو الخطاب، ابن عقيل؟ ورفعت صوتي وقلت : سمهم ، قل لي منهم؟ من هم؟ .

أيكذب ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة، وتندرس معالم الدين؟ كما نقل هو وغيره عنهم أنهم يقولون: إن القرآن القديم هو أصوات القارئين، ومداد الكاتبين، وأن الصوت والمداد قديم أزلي؟ من قال هذا؟ وفي أي كتاب وجد هذا عنهم؟ قل لي! وكما نقل عنهم أن الله لا يرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه، والمقدمة التي نقلها عنهم؛ وأخذت أذكر ما يستحقه هذا الشيخ، مع أنه كبير الجماعة وشيخهم، وأن فيه من العقل والحكمة والدين ما يستحق أن يعامل بموجبه وأمرت بقراءة العقيدة جميعها عليه؛ فإنه لم يكن حاضراً في المجلس الأول، وإنما أحضروه في الثاني انتصاراً به.

وحدثني الثقة عنه أنه بعد خروجه من المجلس، اجتمع به وقال له: أخبرني عن هذا المجلس، فقال ما لفلان ذنب ولا لي، فإن الأمير سأل عن شيء فأجابه عنه، فظننته سأل عن شيء آخر.

وقال: قلت لهم أنتم ما لكم على الرجل اعتراض، فإنه نصر ترك التأويل، وأنتم تنصرون قول التأويل، وهما قولان للأشعري.

وقال: أنا أختار قول ترك التأويل، وأخرج وصيته التي أوصى بها، وفيها قول ترك التأويل.

قال الحاكي لي: فقلت له: بلغني عنك أنك قلت في آخر المجلس ـ لما أشهد الجماعة على أنفسهم بالموافقة ـ لا تكتبوا عني نفياً ولا إثباتاً، فلم ذلك؟ فقال: لوجهين:

أحدهما: أني لم أحضر قراءة جميع العقيدة في المجلس الأول.

والثاني: لأن أصحابي طلبوني لينتصروا بي، فما كان يليق أن أظهر مخالفتهم، فسكت من الطائفتين.

وأمرت غير مرة أن يعاد قراءة العقيدة على هذا الشيخ، فرأى بعض الجماعة أن ذلك تطويل، وأنه لا يقرأ عليه إلّا الموضع الذي لهم عليه سؤال. وأعظمه لفظ الحقيقة، فقرءوه عليه، فذكر هو بحثاً حسناً يتعلق بدلالة اللفظ،

فحسنته ومدحته عليه، وقلت: لا ريب أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة، وهذا متفق عليه بين أهل السنة والصفاتية من جميع الطوائف، ولو نازع بعض أهل البدع في بعض ذلك، فلا ريب أن الله موجود، والمخلوق موجود، ولفظ الوجود سواء كان مقولاً عليهما بطريق الاشتراك اللفظي فقط، أو بطريق التواطيء المتضمن للإشتراك لفظاً ومعنى، أو بالتشكيك الذي هو نوع من التواطيء.

فعلى كل قول: فالله موجود حقيقة، والمخلوق موجود حقيقة، ولا يلزم من إطلاق الإسم على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذور، ولم أرجح في ذلك المقام قولاً من هذه الثلاثة على الآخر، لأن غرضي تحصل على كل مقصودي.

وكان مقصودي تقرير ما ذكرته على قول جميع الطوائف، وأن أبين اتفاق السلف ومن تبعهم على ما ذكرت، وأن أعيان المذاهب الأربعة، والأشعري، وأكابر أصحابه على ما ذكرته، فإنه قبل المجلس الثاني: اجتمع بي من أكابر علماء الشافعية، والمنتسبين إلى الأشعرية والحنفية وغيرهم ممن عظم خوفهم من هذا المجلس، وخافوا انتصار الخصوم فيه وخافوا على نفوسهم أيضاً من تفرق الكلمة، فلو أظهرت الحجة التي ينتصر بها ما ذكرته أو لم يكن من أئمة أصحابهم من يوافقهم لصارت فرقة ولصعب عليهم أن يظهروا في المجالس العامة الخروج عن أقوال طوائفهم بما في ذلك من تمكن أعدائهم من أغراضهم.

فإذا كان من أئمة مذاهبهم من يقول ذلك، وقامت عليه الحجة، وبان أنه مذهب السلف، أمكنهم إظهار القول به مع ما يعتقدونه في الباطن، من أنه الحق، حتى قال لي بعض الأكابر من الحنفية ـ وقد اجتمع بي ـ لو قلت هذا مذهب أحمد وثبت على ذلك لانقطع النزاع.

ومقصوده أنه يحصل دفع الخصوم عنك بأنه مذهب متبوع، ويستريح المنتصر والمنازع من إظهار الموافقة.

فقلت: لا والله، ليس لأحمد بن حنبل في هذا اختصاص، وإنما هو اعتقاد سلف الأمة وأئمة أهل الحديث، وقلت أيضاً: هذا اعتقاد رسول الله ﷺ، وكل لفظ ذكرته فأنا أذكر به آية، أو حديثاً، أو إجماعاً سلفياً، وأذكر من ينقل الإجماع عن السلف من جميع طوائف المسلمين، والفقهاء الأربعة، والمتكلمين، وأهل الحديث والصوفية.

وقلت لمن خاطبني من أكابر الشافعية لأبين أن ما ذكرته هو قول السلف، وقول أئمة أصحاب الشافعي، وأذكر قول الأشعري، وأئمة أصحابه التي ترد على هؤلاء الخصوم، ولينتصرن كل شافعي، وكل من قال بقول الأشعري الموافق لمذهب السلف، وأبين أن القول المحكي عنه في تأويل الصفات الخبرية قول لا أصل له في كلامه، وإنما هو قول طائفة من أصحابه، فللأشعرية قولان، ليس للأشعري قولان. فلما ذكرت في المجلس أن جميع أسماء الله التي سمى بها المخلوق كلفظ الوجود الذي هو مقول بالحقيقة على الواجب، والممكن، على الأقوال الثلاثة، تنازع كبيران: هل هو معقول بالاشتراك أو بالتواطىء؟.

فقال أحدهما: هو متواطىء، وقال الآخر: هو مشترك، لئلا يلزم التركيب. وقال هذا: قد ذكر فخر الدين أن هذا النزاع مبني على أن وجوده هل هو عين ماهيته أم لا؟ فمن قال أن وجود كل شيء عين ماهيته، قال: إنه مقول بالاشتراك، ومن قال إن وجوده قدر زائد على ماهيته، قال إنه مقول بالتواطىء.

فأخذ الأول يرجح قول من يقول: ان الوجود زائد على الماهية لينصر أنه مقول بالتواطىء.

فقال الثاني: ليس مذهب الأشعري وأهل السنة أن وجوده عين ماهيته، فأنكر الأول ذلك، فقلت: أما متكلمو أهل السنة فعندهم أن وجود كل شيء عنى ماهيته، وأما القول الآخر فهو قول المعتزلة أن وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته.

وكل منهما أصاب من وجه، فإن الصواب أن هذه الأسماء مقولة

بالتواطىء، كما قد قررته في غير هذا الموضع، وأجبت عن شبهة التركيب بالجوابين المعروفين وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته، أو ليس عينه، فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب، فإنا وإن قلنا إن وجود الشيء عين ماهيته، لا يجب أن يكون الاسم مقولاً عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظي فقط، كما في جميع أسماء الأجناس.

فإن اسم السواد مقول على هذا السواد، وهذا السواد بالتواطىء، وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد، إذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما وهو المطلق الكلي، لكنه لا يوجد مطلقاً بشرط الاطلاق إلاَّ في الذهن، ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الأعيان الموجودة في الخارج، فإنه على ذلك تنتفي الأسماء المتواطئة ، وهي جمهور الأسماء الموجودة، وفي الغالب (وهي أسماء الأجناس اللغوية) وهو الإسم المطلق على الشيء، وعلى كل ما أشبهه سواء كان اسم عين أو اسم صفة، جامداً أو مشتقاً، وسواء كان جنساً منطقياً أو فقهياً أو لم يكن. بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الأجناس والأصناف والأنواع ونحو ذلك، وكلها أسماء متواطئة، وأعيان مسمياتها في الخارج متيمزة.

وطلب بعضهم إعادة قراءة الأحاديث المذكورة في العقيدة؛ ليطعن في بعضها، فعرفت مقصوده، فقلت: كأنك قد استعددت للطعن في حديث الأوعال: حديث العباس بن عبد المطلب ـ وكانوا قد تعنتوا حتى ظفروا بما تكلم به زكي الدين عبد العظيم، من قول البخاري في تأريخه: عبد الله بن عميرة لا يعرف له سماع من الأحنف ـ فقلت: هذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن كأبي داود وابن ماجة والترمذي، وغيرهم، فهو مروي من طريقين مشهورين ، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر.

فقال : أليس مداره على ابن عميره؟ وقد قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف؟.

فقلت : قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة ، في كتاب التوحيد، الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلاَّ بما نقله العدل عن العدل، موصولاً إلى النبي

ﷺ ، قلت : والاثبات مقدم على النفي ، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف، فلم ينف معرفة الناس بهذا، فإذا عرف غيره - كإمام الأئمة ابن خزيمة - ما ثبت به الاسناذ: كانت معرفته واثباته مقدماً على نفي غيره وعدم معرفته.

ووافق الجماعة على ذلك، وأخذ بعض منهم يذكر من المدح ما لا يليق أن أحكيه ، وأخذوا يناظرون في أشياء لم تكن في العقيدة ، ولكن لها تعلق بما أجبت به في مسائل، ولها تعلق بما قد يفهمونه من العقيدة، فأحضر بعض أكابرهم «كتاب الأسماء والصفات للبيهقي» رحمه الله تعالى، فقال: هذا فيه تأويل الوجه عن السلف، فقلت: لعلك تعني قوله تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[1] فقال : نعم . قد قال مجاهد والشافعي يعني قبلة الله . فقلت : نعم ، هذا صحيح عن مجاهد والشافعي وغيرهما ، وهذا حق ، وليست هذه الآية من آيات الصفات. ومن عدها في الصفات فقد غلط، كما فعل طائفة؛ فإن سياق الكلام يدل على المراد حيث قال: ﴿ولله المشرق والمغرب، فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ والمشرق والمغرب الجهات.

والوجه هو الجهة ، يقال أي وجه تريده؟ أي أي جهة، وأنا أريد هذا الوجه أي هذا الجهة، كما قال تعالى: ﴿ ولكل وجهة هو موليها ﴾ ولهذا قال: ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ أي تستقبلوا وتتوجهوا، والله أعلم. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) البقرة (٢/١١٥).

دراسة سيكولوجية في شخصية
شيخ الاسلام ابن تيمية

شيخ الاسلام ابن تيمية

هذا الرجل طراز فريد في تكوينه ومعدن نفيس في بنيته وطفرة نادرة من جنس البشر رزق الله به الإسلام لينتصف به من المبتدعين والمحرفين الذين استطالوا على حرمة الشريعة، وقالوا بالحلول والوحدة والاتحاد، وأوَّلوا ما لا يستحق التأويل، وقالوا بالظاهر والباطن، وجعلوا من أنفسهم أقطاباً وأغواثاً يلوذ بهم الناس هؤلاء المرجفون من أرباب الهراء والخزعبيلات الذين عطلوا بعض النصوص، وحرفوا في التفاسير وقالوا بآرائهم الضالة الجاهلية بما لم يقل به أحدٌ من السلف، ولم يقره النبي ﷺ ولا أحد من صحابته رضي الله عنهم ورضوا عنه، ولا أحد من المبشرين بالجنة .

* * *

ومن بواكير عظمة الرجل المظنون به أنه تولى الإفتاء وهو ابن اثنتي وعشرين عاماً من عمره ، وهذا إنما يدلنا على قوة الحافظة ورجاحة العقل وذكاء القريحة وجودة الفطنة .

وليس عليه من حرج من كان ظنيناً عند الناس ما دام شاعراً بصدق نيته مع ربه متمسكاً بعقيدته ، قائماً على موجبات هذه العقيدة من التوحيد الخالص الذي لم تَشِبْه شائبة .

وأعظم ما يكون البذل إذا كان بالنفس التي بها كل امرىء ظنين . . . وأجمل ما تكون النخوة إذا كانت سجية موروثة، وفطرة ونجيزة مفطور عليها هذا الطراز اليتيم من الرجال ذوي الوجدان الحي النابض، المطبوع على الشهامة والنخوة والإيثار، وذلكم الطراز الأول الذي جعل الله منه مشكاةً ونوراً للهداية لانتصال الأجيال من غياهب التخلف وغيابات الضلال والوثنية المستشرية في النفوس تمشي النار في الهشيم.

* * *

وشرة النفس غالباً ما تكون من أقوى الدوافع على الانتقام والترة بما يتبرء منه الحلم والفضل، وهذا رجل وصفه معاصروه بأنه كان ذا حدة وصرامة في الحق، لم يملك الدنيا، ولم تملكه الدنيا فهو لا يتهالك عليها، ولا يفزع ولا يصيبه وجل ولا فزع ممن ملكوها، فيعرض عليه كثيرٌ من المنح والهبات لقاء العدول عن بعض مواقفه أو الرجوع عن بعض فتاواه، لكنه يؤثر السجن والعذاب والوحدة فيقول:

« السجن خلوة ، والنفي سياحة ، والقتل شهادة » أي رجل هذا وأية نفس تلك وأية فطرة هذه المطبوعة على الصلابة والصرامة والقوة.

إن أقصى ما يروي ظمأ حساده وشانئيه هو قتله ، لكن هذه الفعلة الشنعاء في نظرهم هي في نظره شهادة وهي أعلى مراتب البذل والعطاء وغاية ما يتمناه ولقد حيل بينه وبين مقصوده.

ومن يقاسي الضيم والحيف والجور لا شك ولا ريب أنه يعاني من عقدة الترة والثأر والانتصاف، وهذه النفوس الطبيعية المستوية أما نفوس العباقرة من الصالحين الذين ترفعوا بذواتهم فإنهم أقرب إلى الصفح والعفو والمسامحة وهذه أرقى درجات السمو الأخلاقي التي لا يتسور إليها إلاّ أصحاب الهمم العالية والبصائر القوية واليقين الإيماني الثابت على جادة السواء والاستقامة .

هذا النجم الساطع في أفق الهداية والسؤدد أحيط به وتناولته أغراض شتى

ذميمة من أناس معروفين ، وفي طرفة عين يقربه السلطان منه، لكنه لا يغتر بهذه المعية لأن عمرها قصير في نظره ومآلها إلى الزوال والإنتهاء.

وإن أحداً مثل هذا الرجل كان بالأمس هدفاً تنوشه الأغراض والسهام المسمومة وعندما يصبح فجأة موضع ثقة السلطان فإن أقل وأدنى ما يتوقع منه هو أن يطيح برؤوس أولئك الذين اعتوروه بالأمس وحطوا من كرامته وألَّبوا عليه، ولا سيما أن السلطان أصبح يأتمر أمره ويعمل بمشورته ويقضي بقضائه لكنه رجل دين، عرف الله حق معرفته، وقدَّره حق قدره وشرَّفه الحق تبارك وتعالى بأن جعله منافحاً عن التوحيد مدافعاً عن المنهج السلفي الصالح مجاهداً بنفسه وروحه في سبيل إعلاء كلمة الحق ، وفيه يقول الشاعر :

يجود بالنفس إن ظن الجواد بها   والجود بالنفس أقصى غاية الجـود

لما أخذ الناصر قلاوون في استصدار فتوى من ابن تيمية بقطع رؤوس أولئك المناوئين له المحرضين عليه، إذا بالشيخ الإمام يقول في عفو الحليم وصفح المسلم وكرم المحتد وطيب الجرثومة يقول: إن دماءهم حرامٌ عليك، إن دماءهم حرامٌ عليك.

قيل له إن هؤلاء، فلان وفلان، وفلان هم الذين وشوا بك للسلطان، وأوقعوا بينك وبينه ورموك بالمنكرات قال بصوت جهوري في نبرة المؤمن :

« كل من آذاني فهو اليوم في حلٍّ مني » وفي رواية : « كل من آذاني فهو اليوم في حلٍّ من جهتي » .

هكذا الخلق القويم أن يدفع الإنسان بالحسنة السيئة فيكون ذا فضل، فإن القصاص عدل ، ولكن التجاوز فضل .

والذي يعرف الله حق المعرفة يربأ بنفسه عن أن يظلم إنساناً أو ينحي على نفس بريئة لأن إدراك قيوميته سبحانه وتعالى زاجرٌ وحائل بين نزوات النفس وفريستها، لأن إدراك قوة المهيمن يجعل الخشوع للحق سبحانه وتعالى والخشية منه أكبر همه فيدفعه عن الافتراء على خلق الله والتجبر على عباده .

وإذا افتقدنا الفضل عند أهل العلم فأين ننشده ونطلبه؟؟!! لا شك ولا جرم أن أهل العلم منوطة بهم أسباب الفضل والفضيلة وإلَّا كان علمهم ظاهراً ورياءً ولا يمكن بحال أن يخرج من مجالات الحدس والتخمين .

* * *

وحماسة النخوة سليقة في معادن بعض الناس جبلوا عليها ، فإن ذا النخوة يدفع بنفسه دفعاً لقاء الذود عن حريمه والدفاع عن حوزته وذمامه ، مهما ركب من مخاطر وتعرض للمهالك .

ويجب التفرقة بين حماسة النخوة وبين الرعونة والتهوك والتطرف الذي يساور بعض أصحاب الآراء ، وكثيراً ما يلتبس الأمر بين هذه وتلك على من يحكم على الأمور بظواهرها من غير ما استقراء أو بحث.

فالتطرف والتهول ينجم من النزق والعجلة، لكن النخوة والحماسة دافعها في القالب شعورٌ عميقٌ وعقيدة راسخة متأصلة ثابتة، وهي عونٌ لصاحبها أي عون على التجلد والتحمل .

وشيخ الإسلام ابن تيمية رجلٌ مقدام على غير اندفاع كما تعطينا العربية بعمق دلالتها واتساع مفهومها بفروقها الدقيقة المعبرة فرقاً جلياً لا يحتاج إلى بيان بين الإقدام والاندفاع .

فالإندفاع قد يكون للإمام وقد يكون اندفاعاً للخلف، ولكن الإقدام هو اندفاع وتقدم للأمام، والمقدام عن غير اندفاع وجهته هي الأمام عن روية وإحكام إلى مراده وبغيته ومقصوده.

* * *

ولا يصح قياس هذه الفطرة الإنسانية على مشاهير أبطال التاريخ ورجاله من علماء المسلمين ، لأن القياس يصبح فاسداً ، لأننا بدراستنا للتاريخ الإسلامي في القرون الوسطى المظلمة نجد أن العالم الإسلامي وبلاد العرب

عامة قد منيت بتخلف حضاري رهيب واضطربت أمورها اضطراباً عنيفاً، ثم ان الغزو التتاري والصليبي من جهة أخرى أنهك قواها وفَتَّ في ساعدها، وازدادت الأباطيل والخرافات لتسلية الناس والترفيه عنهم والتسرية عما نزل بهم من البلاء.

وعظمة هذا الرجل تأتي من نزعته إلى الإصلاح وصراعه المرير من أجل مبادئه وأفكاره، وتجشم العنق والمكابدة لقاء تأدية رسالته، لقد حمل عن الناس همومهم وتحنن لهم وحدب عليهم وأشفق على ما هم فيه وعليه من ترهات وأباطيل وزيف وفساد في العقيدة. . أراد إصلاحهم فنفروا وعمد إلى تنظيفهم فاجتمعوا على مكيدته والنيل منه، فكان كالعلم الراسخ لا يتزعزع ولا يتضعضع لأنه كان يستمد من الله العون والتوفيق.

كان يشغل بال الناس جميعاً، من ثم كان لا بد أن يشغل بال السلاطين والحكام في كل الأمصار، فإن في الضمائر شعوراً جارفاً إزاره كثرة تتحزب عليه، وقلة تتحزب له، فئة تظاهر عليه وثلة تظهر معه.

وإن أخطر الناس في سجل التاريخ هو ذلك الذي تقبل عليه الدنيا بوجهها فيلوي هو عنها وجهه، وهو هذا الذي أجفلت إليه المراتب مهرولة فأشاح بوجهه عنها وصدف عن زخرفها لأنه أدرك ببصيرته أنها متاعٌ خلوبٌ زائل زائف لا خير فيه وإنما الخير كل الخير هو في طريق الحق وجادة الاستقامة. بهذه السجايا وتلك الخصال السمحة كان الرجل حرياً بأن يخيف أعداءه لأنه لم يخف أحداً من المخلوقين، ولأنها قاعدة ذائعة شائعة وهي أن العظيم المغوار إذا حيل بينه وبين مراده فإن الزلازل والبراكين والثورات لا تنفك هادرة وإن جام الغضب لا يتوقف وأن أبواب جهنم لا توصد مصاريعها. مهما نكصوا عنه وتنصلوا من نصرته فلن يتقهقهر ولا يتحول عن وجهته التي انتوى خوض الغمار إليها. هذا الطراز النادر فريد ليس على غراره مثيل أو نظير، وكثير من لداته وأترابه ونظرائه جذبتهم شهوة الملك والسلطان وجرفهم تيار الأماني الخادعة البراقة وركبوا مطايا الملذات الجموح التي تنزو إلى رغائبهم إلى حيث لا إرادة ولا

سلطان على النزوة القلابة المملوكة لبراثن الشياطين .

* * *

ولا يمكن ولا يجوز الحمل على عالم ثقة بغير حجة راجحة، وهذا الإمام جالس وناظر وناقش علماء عصره واستوضحوا كثيراً مما اعتقد فانفضوا عنه وهم مقتنعون بما يعتقد ومطمئنين إلى قوة حجته. تأمل ابن كثير في البداية والنهاية من حوادث سنة ٦٩٨ هـ . عندما يحدثنا عن العقيدة الحموية :

«فلما كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقي الدين الميعاد على عادته ، وفسر قوله تعالى ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ ثم اجتمع بالقاضي إمام الدين يوم السبت ، واجتمع عنده جماعة من الفضلاء ، وبحثوا في الحموية ، وناقشوه في أماكن فيها ، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير ، ثم ذهب الشيخ تقي الدين وقد تمهدت الأمور وسكنت الأحوال، وكان القاضي إمام الدين معتقده حسناً ومقصده صالحاً » اهـ.

ثم يقول بعد ذلك : ـ

« وجلس الشيخ تقي الدين في ثاني صفر سنة ٧٠٠ هـ. بمجلسه بالجامع وحرض الناس على القتال، وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ونهى عن الإسراع في الفرار ورغب في إنفاق الأموال في الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم »[1].

فإن تيمية رجل جمهرة الشعب يجد في الدفاع عن الوطن وعن مصلحة الجماعة التي يقيم معها في وطن واحد، بينما نراه يلوي وجهه عن السلطان ومظاهر الترف والترفع عن الناس وهذا نادر الوجود في عالم المثل الإنسانية والقيم الاجتماعية فلا ينزع إلى هذا المقصود الوطني إلَّا كريم العنصر أريحي الطبيعة طيب الأرومة .

إنه يجند نفسه في صفوف المجاهدين والمنافحين عن عقيدة المسلمين لكنه

---

(١) البداية والنهاية (١٤/١٤) ط. دار الفكر العربي.

لا يطمع فيما يطمع إليه الناس من شهوات الفانية التي يفتن فيها الناس ويضيع منهم الكثير من أجل نيلها والتعثر في دروبها. ولم يكن هذا الموقف الشجاع المقدام في بلاد الشام فقط إنما جاء إلى الديار المصرية في السابع والعشرين من جمادي الأولى على البريد وأقام بقلعة الجبل بمصر ثمانية أيام يحث الناس على الجهاد والخروج إلى العدو، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة، فأجابوه إلى الخروج[1].

ولم يكتف الشيخ الإمام بالخطب والمباحثات مع أولي الأمر ومع الجماهير في الأماكن العامة فحسب إنما تصدر بنفسه مع العسكر الجموع المجندة للزحف[2]، وفي البداية والنهاية يقول ابن كثير: ـ

« وتوجه الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى العسكر الواصل من حماة فاجتمع بهم في القطيعة، فأعلمهم بما تحالف عليه الأمراء والناس من لقاء العدو، فأجابوا إلى ذلك، وحلفوا معهم، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يحلف للأمراء والناس: إنكم في هذه الكرة منصورون، فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى: ﴿ ثم بغى عليه لينصرنه الله ﴾[3].

وقد وصف ابن تيمية التتر بالخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وأروا أنهم أحق بالأمر منهما.

ثم يضيف ابن كثير في تاريخه المشهور: ـ « فلما كان يوم السبت دخل الشيخ تقي الدين بن تيمية غزة فعمل في جامعها مجلساً عظيماً، ثم دخلا مصر يوم الإثنين الثاني والعشرين من رمضان وقيل إنهما دخلاها يوم الخميس، فلما

---

(١) السابق (١٤/٩٦) بتصرف وزيادة.
(٢) البداية والنهاية في أحداث سنة ٧٠٢ هـ. راجع (١٤/٢٣) بتصرف وزيادة.
(٣) الحج (٢٢/٦٠) ومعنى قوله تعالى: ﴿ ثم بغى عليه ﴾ أي بالكلام والإزعاج من وطنه؛ وذلك أن المشركين كذبوا نبيهم وآذوا من آمن به وأخرجوه وأخرجوهم من مكة وظاهروا على إخراجهم، وذلك (لينصرنه الله) أي لينصرن الله محمداً ﷺ وأصحابه، فإن الكفار بغوا عليهم. راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٩٠) ط. دار الكتب.

كان يوم الجمعة بعد الصلاة عقد للشيخ مجلس بالقلعة وأراد أن يتكلم على عادته فلم يتمكن من البحث والكلام وانتدب له الشمس بن عدنان خصماً احتساباً ، وادعى عليه عند ابن مخلوف المالكي أنه يقول إن الله فوق العرش حقيقة، وأن الله يتكلم بصوت وحرف، فسأله القاضي جوابه فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه، فقال له: أجب ما جئنا بك لتخطب، فقال: ومن الحاكم فيَّ؟ فقيل له القاضي المالكي. فقال له الشيخ: كيف تحكم فيَّ وأنت خصمي، فغضب غضباً شديداً وانزعج وأقيم مرسماً عليه، وحُبس في برج أياماً ثم نقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجب هو وأخوه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن[1].

ثم استهلت سنة ٧٠٦ هـ. والشيخ تقي الدين بن تيمية مسجونٌ بالجب من قلعة الجبل (١٤/٤٠).

ومثل هذه الحياة التي لا يطيقها ولا يصبر عليها رجلٌ عادي من العامة أو الخاصة فكيف يحتملها وكيف يتجشمها ابن تيمية مستمرئاً صعابها ومشقاتها، بل يجد في ذلك لذة كبرى لا تعد لها لذة ومتعة لا ترقى إليها متعة وشرف لا يتوقل[2] إليه مخلوق بعد رسول الله ﷺ وصحابته الأبرار الصالحين.

كان هذا الشيخ الصبور المحتسب مجاهداً من الطراز الأول يزج من محنة إلى محنة ، وما تكاد تنجلي كربة حتى تبدأ أخرى أشد منها عنفاً وأعنف منها وعورة.

وثمة حديث سيار على السنة الحكماء القدماء، وهو أن أخطر الرجال في التاريخ رجل يعيش من أجل فكرة، وهذا أمرٌ تؤيده التجارب ويعضده الواقع وتشهد له الأيام.

وهناك مثل صينيَ سيار يقول: « اهدم بيوتنا واسلب ممتلكاتنا واذبح أطفالنا ولا تغيِّر معتقداتنا » .

---

(١) راجع تاريخ ابن كثير (١٤/٣٨) بتصرف.

(٢) يتوقل إليه : يرقى ويصل إلى درجته الرفيعة .

ومن العسير المتعذر على رجل المبادىء الحر الشريف أن يتحول عن عقيدته التي آمن بها ووهبها كل حبة في كيانه وكل جارحة في وجدانه.

في ليلة عيد الفطر أحضر الأمير سيف الدين أرسلان نائب مصر القضاة الثلاثة وجماعة من الفقهاء، فالقضاة الشافعي والمالكي والحنفي، والفقهاء الباجي والجزري والنمراوي، وتكلموا في إخراج الشيخ تقي الدين بن تيمية من الحبس.

فاشترط عليه بعض الحاضرين شروطاً بذلك منها أن يلتزم بالرجوع عن بعض العقيدة، وأرسلوا إليه ليحضر، وليتكلموا معه في ذلك، فماذا يكون رده يا ترى؟؟!!

إن أي إنسان يقبل التهاون في بعض المسائل لقاء الحرية وهي أغلى وأثمن وأنفس ما في الوجود، ولا يعرف قدر الحرية إلاَّ من كابد وعانى السجن وغياهبه وظلمة وحدته.

لقد امتنع ابن تيمية رضي الله عنه عن الحضور، وصمم على الامتناع وتكررت الرسل إليه ست مرات فصمم على عدم الحضور ولم يلتفت إليهم ولم يعدهم شيئاً، فطال عليهم المجلس، فتفرقوا غير مأجورين.

لا جرم أن مثل هذا الموقف المتشدد من جانب الشيخ تقي الدين كان له أشد الأثر في نفوس أعدائه من خصومه وشانئيه الذين أضواهم السخط وأضناهم الوجد، وملأ صدورهم الوغر واحتوتهم السخيمة وتملكتهم الحزازة وأحزم غيظهم صلابته في الحق ورسوخه في المحن رسوخ العلم المفرد.

وفي يوم الجمعة رابع عشر صفر الخير سنة ٧٠٧ هـ. اجتمع قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقي الدين بن تيمية في دار الأوحدي من قلعة الأوحدي من قلعة الجبل، وطال بينهما الكلام ثم تفرقا قبل الصلاة، والشيخ تقي الدين مصمم على عدم الخروج من السجن، فلما كان يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول جاء الأمير حسام الدين مهنا ابن عيسى ملك

العرب إلى السجن بنفسه وأقسم على الشيخ تقي الدين ليخرجن إليه»[1].

إنه كبرياء العظمة، وعظمة الكبرياء والفرق بين كبرياء العباقرة والعظمة عند أولي الفضل وبين كبرياء الدهماء[2] والرعاع أن الأولى ترفع بالذات عن الدنيا، وإظهار كرامة النفس على ذاتها بإهدار الدنايا والصلابة في الحق وعدم الخوف والتردد والخنوع[3] أما أعتاب علية القوم تزلفا من ذواتهم وفي هذا يقول الشاعر الحصيف اللبيب المجرب :

ولو أنَّ أهلَ العِلم صانوه صانهم ولـو عظَّموه في النفوس لعظمـا

وليت علماءنا ورجال الفهم والفضل يدركون أنهم أرقى وأعظم طراز في معدن البشر فيجب أن يربأوا بأنفسهم أن يتصاغروا أمام الشهوات الدنيوية من السلطان والمال والتقرب من أولي الأمر بشتى أنواع القربات حتى لو كان ذلك مقابل التهاون في بعض المسائل الشرعية التي تقتضي منهم التوفر على حفظ حدود الله فيها وصونها من عبث المنتفعين من ثغراتها بما لم يرض عنه شرع الله وحدوده. وثمة مثل قديم رائع يقول: إن أعظم العلماء هم الذين لا يلجأون للسلطان، وأعظم السلاطين هم الذين يلجئون للعلماء.

فالعالِم عندما يلوذ بالسلطان ويضع الدنيا نصب عينيه إنما يكون قد أزرى بعلمه لأن في هذا انتقاصاً لشأنه وتاحة لدرجته . إنما السلطان الذي يختلف للعلماء إنما يكون قد حصن ملكه بالعلم وهو سلطان الحق سبحانه وتعالى منوط به كل سداد وسؤدد فمن عوَّل على العلم والعلماء تجنب كثيراً من الويلات، وكان بنجوة من المخاطر التي تعرض في معترك الأيام ولا ينفع فيها الرأي

---

(١) تاريخ ابن كثير (١٤/٤٥).
(٢) دهماء الناس: سوادهم.
(٣) الخنوع: الخضوع والذل.

الواحد. من ثم أكد الإسلام مبدأ الشورى، فالقرآن الكريم يخاطب رسول الله ﷺ : « وشاورهم في الأمر » لأن كثيراً من الأمور لا يستغنى عن رأي الجماعة وإجماعها .

هذه الأمة في هذا الرجل

هذه الأمة في هذا الرجل

مما لا مراء فيه أن هذه الشخصية التاريخية الفذة قد جمعت كل صفات الشجاعة والمروءة والنجدة والقومية ، فتجمعت فيها مناقب شتى كل منقبة منها تعد سجلاً من سجلات الأبطال الكماة.

والشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية يعتبر أمة في رجل ومن كان مثله أو في معدنه أو طرازه لخليق به أن يكون في مقدمة الغزاة الفاتحين الذين يناط بهم كل حدث جلل وكل أمر عسير. ومما يؤكد عظمة التكوين فيه أن صفاته التي تحلى بها جميعاً فطرية وليست مكتسبة، إذ أنه مطبوع عليها مفطور على سجاياها مجبول على عناصرها، وهذا سر قوته وسر ثباته وسعة أفقه وحصافة فكره وجودة رأيه وعمق فتاويه .

والصفات المكتسبة في العنصر البشري تتراخى في بعض مواطن الاقتضاء وقد تتشدد في غير ما مقتضى لذلك وقد يجانبها التوفيق والسداد في كثير من الأمور ، ولكن نقيض ذلك هو المتعارف عليه في الواقع التجريبي من الغرائز المفطور عليها الإنسان .

ومثالنا على ذلك الذكاء الفطري والذكاء المكتسب ، فإن رجال التربية وعلم النفس وعلماء السلوك قد أثبتوا بعد التجريب والمشاهدة والتمحيص أن

الشخصيات التي غيرت مجريات التاريخ كان ذكاؤها فطريا، أي غرزيا طبعت عليه.

وقد أوضحت مدرسة (لا مبروزو) أمارات الذكاء الفطري بأن المرء يكون طويلاً بائن الطول أو قصيراً بائن القصر، يعمل بيده اليسرى أو بكلتا يديه، مرهف الحس، شديد الحساسية للأمور غزير الشعر أو نزيره، قليلة ساعات نومه مولع بالاستقراء ومنهوم بمعرفة ما لا يعرف.

وإذا تفرسنا وتمحصنا شخصية الإمام تقي الدين بن تيمية نجده ـ بمقياس علم النفس ـ رجلاً فطري الذكاء، قوي الملاحظة سريع البديهة دافع الحجة لا يخور ولا يلين ولا يجزع في تكوينه من أمارات العظمة ما يجعله بحق قدوة مثالية يؤتسى بها.

وقد نشأ ابن تيمية في أسرة علم وفضل فقد كان أبوه عالماً من كبار العلماء فلا غرو أن يكون لهذه النشأة أثرٌ أي أثر في هذه القوة العلمية الدافقة التي حركت الدعوة الإسلامية إلى أعظم المواقف وهي حرية بكل فضل وفضيلة.

عقيدة ابن تيمية

عقيدته

عقيدة ابن تيمية هي العقيدة السلفية والمنهج المتصل بها والذي يفضي إليها هو المنهج السلفي مصطلحاً ومفهوماً[1].

وقد اتفق علماء اللغة على أن السلف والسلفية بمعنى الماضي والمتقدم، وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس بمعنى الماضي والمتقدم والسابق، وقد قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ فجعلنا لهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾[2] وفي أنساب السمعاني، السلفي بمعنى نسبة إلى السلف، وانتحال مذهبهم على ما سمعته منهم حتى عرفت به جماعة عند ابن الأثير.

كذلك سمي الصدر الأول من التابعين، السلف الصالح.

والسلفية كما قال ابن منظور في معجمه الشهير لسان العرب: ـ «هم الجماعة المتقدمون» اهـ.

وكلمة السلفية والسلف مصطلحان شرعيان، وكلمة السلف في الشرع مقصود بها اسم لكل من يقلد مذهبه في الدين ويتبع أثره.

---

(١) راجع عقيدة ابن تيمية الحنبلي تأليف محمد أحمد الهيراوي تحقيق ودراسة محمد فريجة ص ٤١. دار الحكمة دمشق.

(٢) الزخرف (٥٦/٤٣) قال مجاهد: سلفاً لكفار قريش يتقدمونهم إلى النار، وعظة وعبرة لمن يأتي بعدهم. الجامع لأحكام القرآن (١٠٢/١٦) ط. دار الكتب. بتصرف.

والسلفية هم عند التهانوية الإخبارية أو فرقة من الإمامية . كذلك قيل أنهم الذين يعتقدون أن الصفات ما أراد الله بها حق بلا شبهة كما عليه السلف[1].

ومن خصائص العقيدة السلفية الفهم والتقدم والأصالة، وقد حاولت التيارات الإلحادية والأنواء الهالكة تكدير صفو السلفية ومحاولة قلب قاربها في خضم الحرب الباردة بإذاعة أن هذه السلفية رجعية جامدة تحجر على الفكر الإسلامي وتعارض تجديده، وهم بذلك مرجفون مخطئون في صدورهم وغر وحسيكة وسخيمة أخذوها عن الفكر الغربي الهالك، وروجته في نفوسهم تلك الفلسفة اللعينة المسماة بالميتافيزيقا وهي أخطر أعداء الإسلام تربصاً به ونيلاً منه وإحاطة بحضارته .

وقد تهشمت كل أوهام هؤلاء الأوغاد على صخرة الواقع الذي آلمهم وهو أن يخرج بين الفينة والفينة من يجدد لهذه الأمة الإسلامية أمر دينها ويربط واقعها وكيانها بمنهج السلف الصالح رضي الله عنهم ورضوا عنه .

وقد ورد في الحديث: - « لا يصلح آخر هذه الأمة إلَّا بما صلح به أولها » .

وما صلح أول هذه الأمة إلَّا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بفضل وإحسان إلى يوم الدين ، ورضي الله عنهم ورضوا عنه .

ومجمل العبارة فإن السلفية تقوم على دعامتين هما الكتاب والسنة ، ومن تمسكوا بهما من الصحابة والتابعين وتابعيهم بفضل وإحسان إلى يوم الدين . من ثم فالسلفي يعزو كل أحكامه الشرعية إلى الكتاب والسنة ، فلا يعطل نصاً ولا يؤول نصاً لا يقتضي التأويل ولا يقول بالظاهر والباطن ولا بالشريعة والحقيقة

---

(١) ننتهي من ذلك إلى أن السلفية تعني التقدم والسبق، ومن ذلك نخلص إلى أن السلفي هو الذي يرجع في الأحكام الشرعية الى الكتاب والسنة.

كما يقول المتأولون من الباطنية وغيرهم من الفرق الضالة التي خرجت عن نهج الجماعة.

فالسلفية اتجاه فكري يمثل الإيمان الخالص النقي بعيداً عن التحريف. وممن مثلوا الإتجاه السلفي في العقيدة أبو موسى الأشعري صاحب مذهب الأشعرية المعروف، ويرى ابن تيمية أن الأشعري كان أقرب إلى قول الإمام أحمد، ومن كان قبله من أئمة السنة كان عندهم أعظم من أتباعه، والباقلاني كان أقربهم إلى ذلك[1].

ثم قال ابن تيمية رحمه الله عن الأشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة: «سلك طريق أهل السنة والحديث، وانتسب للإمام أحمد[2]. وقد نهج المعتزلة ـ في بحث العقيدة الإسلامية ـ نهجاً فلسفياً صرفاً أخذوه من منطق اليونان، وهو المنطق الجدلي الذي يبدو وكالمناظرات وقد جرى على هذا المنهاج الأشاعرة[3] والماتريدية[4].

وقد اجتمعت مناهج العلماء في فهم العقيدة الإسلامية في أربعة طرائق : القسم الأول وهم الفلاسفة ويقولون أن القرآن جاء بالأسلوب الخطابي ، والمقدمات المنطقية للإقناع ، ويرون أن طريق البرهان واليقين هو سبيل العقيدة.

القسم الثاني هم متكلمو المعتزلة الذين يقدمون قضايا العقل على النظر في آيات القرآن الكريم ، فالنظر العقلي مقدم عندهم على الدليل القرآني ،

---

(١) راجع نقض المنطق ص ١٦ لابن تيمية.

(٢) كما ورد في كتاب الإبانة ومقالات الإسلاميين.

(٣) الأشاعرة: وهم أتباع أبي موسى الأشعري المتوفي سنة ٤٤ هـ. وهو الذي استعمله رسول الله ﷺ على عدن، وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧ هـ. فافتتح أصبهان والأهواز. راجع الطبقات الكبرى (٤/٧٩).

(٤) والماتريدية يبدو ان منهجها الاستدلالي فاسد باطل لأنهم يرون أن دلائل القرآن غير يقينية وهذا خطل فادح في الفهم.

وتأويلهم يجري على مقتضى العقل، وكثيراً ما يخرجون عن عقائد القرآن ، وهم يأخذون بالنوعية من الإستدلال.

القسم الثالث: الماتريدية: وهم ينظرون في آيات القرآن التي بها عقائد لمخاطبة العقل فيؤمنون بها وبما في العقل من أدلة عليها، على أنها آيات إخبارية يجب الإيمان بها وبما اشتملت عليه وليست مقام جزم ويقين وحق.

القسم الرابع : الأشاعرة وهم مؤمنون بالقرآن ـ عقائده وأدلته ـ لكنهم يستعينون بأدلة العقل إلى جانب الأدلة القرآنية .

وقد تعرض ابن تيمية رضي الله عنه لهذه المناهج الأربعة وفندها وبحثها بحثاً علمياً رائعاً غير مسبوق فيه .

وقد أماط اللثام شيخنا الجليل عن عورات هذه الفرق وغيرها من الفرق التي أوَّلت أو عطَّلت النصوص عن جهالة وقصور .

فهو ينقد أولئك الذين قدموا الدراسات العقلية على الأدلة القرآنية ، ثم قال ابن تيمية رحمه الله : إنهم جعلوا الحاكم الشرع محكوماً (للعقل) فجعلوا من النبوة الحاكمة الهادية للعقول محكومة بها خاضعة لها .

* * *

ثم يتصدى للمناطقة ويرد عليهم ويأخذ على أئمتهم أنهم أهملوا الأدلة القرآنية ، وتفضيلهم المنطق عليها .

والمنطق هو شر البلاء المستطير فإنه مدخل الفلسفة والفلسفة هي أخطر أعداء العقيدة الإسلامية .

ثم يقول ابن تيمية رحمه الله في الفلسفة ومصطلحاتها: «إن هذا من المنكرات المستبشعة،والرقاعات المستحدثة ، وليس بالأحكام الشرعية افتقار إلى المنطق أصلاً، وما يزعمه المنطقي بالمنطق من أمر الحد والبرهان فقاقيع أغنى الله عنها كل صحيح الذهن، ولقد تمت الشريعة وعلومها وخاصة في بحر الحقائق

والدقائق حيث لا منطق ولا فلسفة » أ. هـ.

* * *

وقد رد ابن تيمية على الأشاعرة مفنداً أغلاطهم في استدلالهم بالأدلة العقلية إلى جانب الأدلة القرآنية ، ثم يفرق بين الأشعري والأشاعرة فيقول : إن الأشعري كان أقرب إلى قول الإمام أحمد ، ومن قبله من أئمة السنة كان عندهم أعظم من أتباعه».

ثم يقول عن الأشعري أنه لما رجع عن مذهب المعتزلة، سلك طريق أهل السنة والحديث.

أما الماتريدية فهم يعتمدون على العقل باستهداء الشرع، وفي إطار من هدى التشريع ولا يعتمدون على النقل المحض، وهم في هذا يخالفون الفقهاء والمحدثين .

وبعد أن ناقش ابن تيمية هذه المذاهب أثبت أن منهج السلف ليس واحداً من أي منها، بل غيرها جميعاً، فالعقائد لا تؤخذ إلاَّ من النصوص وكذا أدلتها ، فالسلفيون يؤمنون بالنصوص، ولا يعوِّلون على العقل في مجال العقائد لأن العقل يضل، ثم يقرر الإمام ابن تيمية أن هذه المناهج دخيلة على الإسلام وعلى المسلمين .

فعقيدة ابن تيمية لذلك عقيدة سلفية محضة قوامها التوحيد الخالص المبرء من شبهات الشرك بأنواع ما كان صريحاً بواحاً وما كان خفياً مستتراً، كذلك انتهج سبيل المؤمنين من السلف الصالح ، متمسكاً بالكتاب والسنة والإجماع وهي عقيدة الفرقة الناجية .

وعقيدة ابن تيمية مبسوطة في العقيدة الاصفهانية والواسطية والحموية .

---

(١) راجع معارج الوصول لابن تيمية (ص ١٠ ـ ١٢).

منهج ابن تيمية رحمه الله

منهاجه

نوجز هنا منهاج ابن تيمية السلفي بعد هذه الرحلة في عقيدته وفكره وعلمه : أولاً : عدم الثقة المطلقة بالعقل في مقدمات الحكم على العقائد والأحكام من حيث سلامتها من عدمه وخصوصاً في المتشابهات من الأمور[1].

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الأدلة والبراهين المبنية لأصول الدين ، والعقل ليس بمستقيم الادراك في الوصول منفرداً إلى أصول الدين وحقائقه، بل لا بد من النقل أن يوافق العقل، ويكون العقل تبعاً للنقل لا متبوعاً كالمتكلمين، ومحكوماً بالقرآن ومقدماته في الاستدلال، لا حاكماً على القرآن ومنهجه كالمعتزلة ثانياً: عدم اتباع أي من الرجال إلا على دليل من الكتاب أو السنة أو آثار السلف الصالح ، ولا يغني عن هذا أن يكون المتبوع ذا شأن وشهرة وصيت وعلم ، فما من قول يتلقى تلقياً ويسوغ فيه الاتباع من غير دليل.

ثالثاً: الشريعة أصلها القرآن وقد فسره سيدنا رسول الله ﷺ بالسنة وتلقى ذلك صحابته رضي الله عنهم ورضوا عنه وحفظوه وفهموه وتلقوه كما سمعوه ولقنوه التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وابن تيمية يرجع إلى رسول

---

(١) راجع عقيدة ابن تيمية الحنبلي ص ٧٠ بتصرف وزيادة.

الله ﷺ ولا يتبع أحداً بعده إلّا الصحابة رضوان الله عليهم ، ويحتج أحياناً بأقوال التابعين في مناظراته مع علماء عصره وفقهائه ، فكان يدعوهم إلى الإحتكام إلى أهل القرون الثلاثة الأولى.

رابعاً: عدم التعصب والجمود على التفكير الشخصي، بل خلع عن ذاته كل ما يقيده في فكره إلّا الكتاب والسُّنة والإجماع وآثار السلف الصالح .

ولقد تعمق ابن تيمية في دراسته للمذاهب الإسلامية كلها والفرق المختلفة والآراء المتباينة ، وعرف تاريخ كل فرقة ومنهاج كل نحلة وعقيدة كل طائفة ، ثم خالف المذاهب الأربعة متحزباً لدينه وسنة رسول الله ﷺ ، واعتذر عنهم إذا جاءت أقوالهم مخالفة للسُّنة الصحيحة بأعذار قوية ترفع الملام عنهم ويدعو إلى توقيرهم وتقديرهم[1].

من ثم ننتهي إلى أن قواعد المنهج السلفي الذي انتهجه ابن تيمية له أطنابٌ ثلاثة تشد أزره وتقويه :

الأول : تقديم الشرع على العقل باتباع السلف الصالح رضوان الله عليهم .

الثاني : في رفض التأويل الكلامي والمنهج الجدلي المنطقي والفلسفي .

الثالث : الاستدلال بالقرآن الكريم .

* * *

هذا هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وهذه هي مناظراته وهذه هي مجالسه في الذب عن عقيدة التوحيد والمنافحة عن المنهج السلفي رحلة شاقة كلها مواجيد ولوعات وأسى لأنها تهدم ما ترسب في النفوس من أنقاض متداعية من الخرافات والخزعبيلات من المتأولين والمتكلمين والصوفية وغيرهم .

هذه الرحلة الشاقة المضنية نموذج رائع للبذل والعطاء رغبة فيما عند الله

---

(١) راجع كتاب (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) لابن تيمية.

وعزوفاً عن الدنيا ونزواتها.

اللهم نسألك أن ترحم شيخ الإسلام والمسلمين ابن تيمية لقاء ما أعطى وبذل وجدَّ واجتهد وصاحب في الله وعادى في الله وجاهد في سبيل الله.

اللهم أجمعنا به والصالحين في دار الكرامة. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

هذا الرجل وهذه الأقران

ولد ابن تيمية في العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١، ويذكر بعض العلماء أن مولده كان في الثاني عشر من ربيع الأول ، ولعل أولئك يـريدون أن يثبتـوا أن مولده كان موافقاً لمولد الرسول تيمناً بأنه سيحيي سنتـه ، ويدعم بـالحجج شريعته ، ويدافع عنها إلى أن يموت في محبسه[1] .

ويلقب الإمام ابن تيمية بالحراني نسبة إلى حران ، إلاَّ أن صاحب القاموس يقول : « أن النسبة إلى حران هي حرناني وهي نسبة سماعية ، ويخطىء من يقول حراني ، وهي للنسبة القياسية » ا. هـ.

وقد لفت الأنظار إلى أنه ليس بعربي الأصل نسبته إلى البلد دون القبيلة لأن العرب تنتسب عادة إلى القبيلة، ولكن هذا لا يقدح في كرامة الرجل ولا يقلل من شأنه وعلمه بحال .

وفقد ابن تيمية رحمه الله أباه وهو في شرخ شبابه ـ في الحادية والعشرين ـ إذ مات أبوه سنة ٦٨٢ هـ . إلاَّ أن أمه عاشت بعد ذلك وكانت بقلبها

---

(١) راجع كتاب (أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان الإمام ابن تيمية) الصادر عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة، وهو يحتوي على مجموعة أعمال مقدرة أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان الإمام ابن تيمية المنعقد بدمشق في المدة من ١٦ ـ ٢١ من شوال سنة ١٣٨٠ هـ الموافقة ١ ـ ٦ من نيسان (ابريل) سنة ١٩٦١م. ص ٦٥٩، ص ٦٦٠.

ومشاعرها وعواطفها وحدبها على ابنها ووراءه بالدعوات ، وقد كان يبعث إليها بالرسائل من سجنه ليطمئنها على حاله. وقد كان ابن تيمية باراً بأمه عطوفاً عليها محسناً إليها إذ كان يعاني من مواجيد ولوعات الفراق وأهوال السجن لكنه يخفى كل. هذا عن أمه حتى يخفف عنها لوعتها وشجونها .

وكان من أهم خصال ومناقب ابن تيمية رحمه الله[1] ، الجد والمثابرة ، ورقة الإحساس ويقظة الشعور ، وتفتح العقل واتساع الأفق، وحضور البديهة وقوة الحافظة، وحدة الذهن، واستقامة التفكير، وحسن الذاكرة التي تدل على ذكاء فطري حاد.

ووجود هذه الهبات والمنح الإلهية في تركيبه وتكوينه وانسجام ملكاته يسَّر له سرعة الفهم والاستيعاب ، فكان له حظ عظيم ونصيب وافر من العمق الثقافي والعلمي والفكري، لا سيما وأنه نشأ في بيئة خصيبة من العلم والدين، فإن أباه كان عالماً تلقى عليه علم الحديث، وعلى كثير من كبار المشايخ، ثم حفظ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، إمام أهل السنة ، وقد اتجه إلى فقهه بكل جوارحه وجعل دراسته هي كل همه، وقد كان المذهب الحنبلي هو مذهب أسرته من قديم، فلا غرو أن توفر على كل علوم هذا المذهب بكل دقائقها وخفياتها.

وكان اهتمام ابن تيمية بالصحيحين واضحاً حيث فاق كل اهتمام، فكان كثيراً ما يحتج بأحاديثهما في مناظراته وفتاواه .

وقد ابتلى المشرق العربي بغارات أجلاف التتار، حيث اجتاحوا اليابس والأخضر، وولغوا في دماء المسلمين، واستولوا على المدائن الإسلامية يعيثون فيها فساداً، حتى سقطت حاضرة الخلافة الإسلامية في أيديهم، ففر العلماء بعلمهم إلى دمشق ، وكثير منهم ألقى عصاه فيها واستقر به المقام واستمرأ فيها العيش.

وانتهى التطواف بابن تيمية وأسرته في دمشق، وكانت قد جمعت طوائف شتى وفرقاً متباينة من المذاهب الدينية، وكان مع أهل الفقه ورجال الحديث،

---

(١) راجع ترجمة ابن تيمية في فوات الوفيات (١/٣٥ ـ ٤٥) والدرر الكامنة (١/١٤٤) والنجوم الزاهرة (٩/٢٧١) وتهذيب ابن عساكر (٢/٢٨) ودائرة المعارف الإسلامية (١/١٠٩).

طائفة من الأشاعرة[1]، وهم أصحاب مذهب أبي الحسن الأشعري، وهو يتبع مذهب أهل السنة، لكنه يسير في اثبات العقائد في مسار المنطق والفلسفة، فهو يتفق مع أهل السنة في النتائج، لكن يسلك في اثباتها غير سبيل الحنابلة.

من ثم زادت المناوأة بين ابن تيمية، وبين أتباع أبي الحسن الأشعري وقد تصدى لهم بقوة وعنف متجشماً في ذلك كل ما يطيق وما لا يطيق وهو يعلم أنه ليس بنجوة من مكائدهم ومؤامراتهم في النيل منه. وقد كان ابن تيمية رحمه الله محصناً بالحجج القوية وعمق الفهم والدراسة كما أعانه على ذلك تعمقه في دراسة اللغة العربية ونحوها وصرفها وبلاغتها إلى جانب إحاطته بالتفسير والحديث والفقه، وقد نقل المؤرخون أن حلقاته كانت تضم كثيراً من الناس منهم الموافق له، والمحرض عليه، السني والبدعي، الشيعي وغيره من أتباع المذاهب الأخرى، وقد تجمعوا حول حلقته لينهلوا من معين علمه الغزير السخي الذي لا ينضب، في إطار شخصية قوية مؤثرة.

وقد وصفه المحدث الكبير ابن دقيق العيد بقوله: «رأيت رجلاً جمع الله العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد، ويدع ما لا يريد» ا.هـ.

وقد وصفه الذهبي رضي الله عنه وهو من معاصريه بقوله: -

«كان أبيض، أسود الرأس واللحية، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحاً، سريع القراءة، تعتريه حدة، لكن يقهرها بالحلم» ا.هـ.

* * *

ولولا الحدة التي كانت تعتريه، لكان كلمة إجماع، ولكن هذه الحدة جعلت حوله معارضة قوية وجبهة عنيفة، وذلك لأنه جاء الناس بما لم يكن شائعاً ذائعاً عندهم فكان ذلك سبباً في عنف قوتهم، ورميه بالكفر والإلحاد في الدين.

---

(١) راجع الفرق بين الفرق للبغدادي بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط. دار المعرفة ص ٢٤، ص ١١٤ والملل والنحل للشهرستاني ط. الحلبي بمصر (٩٤/١) وما تلاها بتصرف.

وهاجم في دروسه الطرق الصوفية التي كانت شائعة في عصره ، لا سيما القائلون بالحلول والوحدة والاتحاد كابن عربي وغيره، وقد أكبره القائد الحربي الشجاع الذي تصدى للتتار ناصر الدين بن قلاوون[1].

وقد كان ابن تيمية مستشاراً لناصر الدين بن قلاوون حيث كان يستشيره في الأمور الدينية ، فقد أشار عليه بتعيين الشيخ كمال الدين الشريشي[2] في مشيخة دار الحديث الكاملية بعد تقي الدين بن دقيق العيد[3]، كذلك فلم يعين خطيب أو واعظ أو إمام أو ناظر مدرسة إلاّ برأيه، وذلك تقديراً له ولشخصيته .

ولكن حفيظة[4] العلماء والفقهاء لم تتوقف في الكيد لابن تيمية للنيل منه فدأبوا على التأليب[5] عليه، وهو شأن المقهورية المكبودين ، وهو شأن كل مجاهر بالخصومة والعداوة ، وكل صلب في الحق ، ممن ينافحون عن الحقيقة ويذبُّون عن الواقع غير مداهنين[6] أو منافقين .

ولم تستمر قوة السلطان على حالها الأول ، فالسلطان الناصر محمد قلاوون بدأ سلطانه يضعف بعد حين وهو الحميم المخلص لابن تيمية وهذا شأن معاول الزمن الهادمة التي لا يبقى إزاءها بناء على حال، وبمقدار ضعضعة الأمير وأفول نجمه[7] كان أثر القول والطعن في ابن تيمية يزداد حدة وقوة، وهذا أمر

---

(١) هو الملك الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي أبو الفتح ولد سنة ٦٨٤ هـ وكانت طفولته الأولى بدمشق، وولي سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣ هـ وهو صبي، وخلع منها لحداثة سنة ٦٩٤ ثم أعيد للسلطة بمصر سنة ٦٩٨ فأقام في القلعة كالمحجور عليه، والأعمال في يد الاستادار الأمير بيبرس الجاشنكير، ونائب السلطنة الأمير سلّار واستمر بها نحواً من عشرين عام، وتوفي سنة ٧٤١هـ بالقاهرة. راجع ابن الوردي (٢/ ٣٤٠) وفوات الوفيات (٢/ ٢٦٣) والدرر الكامنة (٤/ ١٤٤) والنجوم الزاهرة (٨/ ٤١).

(٢) الشيخ كمال الدين الشريشي كان من علماء الحديث المشهورين في عصره.

(٣) ابن دقيق العيد: هو موسى بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، سراج الدين ابن دقيق العيد، فقيه شاعر انتهت إليه رئاسة الفتوى في صعيد مصر، ولد وتوفي بمصر سنة ٦٨٥ هـ . راجع الطالع السعيد (٣٨٠) والإعلام للزركلي (٨/ ٢٧٧).

(٤) حفيظة القوم: حسدهم.

(٥) التأليب عليه : التحريض عليه .

(٦) مداهنين : من المداهنة وهي المداراة.

(٧) يقال أفل نجمه أفولاً: إذا خبا مجده ودالت دولته.

طبيعي. عقدت له المجالس والمناظرات مع العلماء والفقهاء ممن طعن فيهم وفي عقيدتهم ممن نادوا بسقوط التكليف وممن رفعوا أنفسهم إلى مقامات الصالحين .

وكان مقصودهم من هذه المناظرات وهذه المجالس تصديع ذلك البناء المتماسك القوي اللبنات وإيقاف مسيرته ، لكنه بعلمه وغزارة مادته كان أقوى من ظنونهم الفاسدة، فما سئل في مسألة أو قضية أو فتوى إلاَّ أجاب إجابة المتمكن الواثق المضطلع بالدقائق من فروع وأصول ، وكان لسرعة بديهته وحضور حافظته وقوة حجته مما جعل الكثير يتحاشون مجالسه ومواجهته مقهورين مكابرين .

ولم يلبث السلطان الناصر قلاوون أن انقلب على ابن تيمية فبعد أن كان نصيراً له أصبح نصيراً عليه ، فلماذا تغير هذا التغير؟؟!! لعلنا إذ نرجع إلى كتب التاريخ نلتمس فيها سبباً لهذه الجفوة وهذا التغيير المفاجىء.

تأمل قول المقريزي: ـ « ان الناصر ركب كعادته للصيد، وبينما هو في طريقه إذ انتابه ألم شديد، كاد يقضي عليه ، فنزل عن فرسه ، لكـن الألم تزايد عليه ، فنذر إن عافاه الله أن يبني في هذا الموضع مكاناً يتعبد فيه الناس، ولما عاد إلى قلعة الجبل، وقد شفاه الله من مرضه سار بنفسه إلى الموضع الذي انتابه فيه المرض، وصحبه جماعة من المهندسين، واختط هذه الخانقاه ـ خانقاه سريا قوس ـ في سنة ٧٢٣ هـ وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي، وبنى بجانبها مسجداً تقام فيه الجمعة، وبنى حماماً ومطبخاً»[1] وتم ذلك في سنة ٧٢٥هـ.

ولعلنا نذكر أن أول محنة نزلت بابن تيمية كانت سنة ٧٢٦هـ ، ندرك ونعرف من أين جاء التأثير، فلقد صار من ذلك الوقت الناصر بن قلاوون صديقاً حمياً للصوفية، وهم أعداء ابن تيمية الألداء، من ثم فقد شدد النكير عليه شيخهم وإمامهم ابن عطاء الله السكندري رحمه الله.

---

(١) راجع أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان ابن تيمية المطبوع بالقاهرةطبع المجلس الأعلى لرعاية الشؤون والآداب والعلوم الاجتماعية سنة ١٩٦٣م. ص ٦٩٠، ص ٦٩١ بتصرف.

وقد عانى ابن تيمية بعد ذلك من غياهب السجن ومحنته، فقد شدد الناصر الخناق عليه ولم يزل كذلك حتى عوجل إلى رحمة ربه سجيناً في سبيل ذبه عن العقيدة وحماسته في الحق.

* * *

وقد بلغ ابن تيمية شأواً بعيداً في الحلم وكرم الأخلاق - رغماً عما فُطر عليه من حدة المزاج - فقد وصفه الإمام الذهبي المؤرخ وصف مجملاً يبرز حيالنا صورته الصارمة الوقورة بدقة وجلاء فيقول: -

«ومن خالطه وعرفه ينسبني إلى التقصير فيه، ومن خالفه ونابذه قد ينسبني إلى التغافل فيه، وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده، وأنا لا أعتقد فيه عصمة، بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية، فإنه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته، وسيلان ذهنه، وتعظيمه لحرمات الدين - بشراً من البشر، تعتريه حدة في البحث وغضب وصدمة للخصوم تزرع له عداوة في النفوس، ولولا ذلك لكان كلمة إجماع، فإن كبارهم خاضعون لعلومه، معترفون بأنه بحر لا ساحل له، وكنز ليس له نظير، ولكنهم يأخذون عليه أقوالاً وأفعالاً، وكل يأخذ من قوله ويترك» اهـ.

نفهم من قول الذهبي أنه كان من المعجبين الخائفين الذين يبدون إعجاباً لفرط علم الرجل وأريحته لكنهم يداهنون الناس حتى لا يستقبحوهم أو يمقتوهم، فقد كانوا حريصين على أواصرهم وصلاتهم بالآخرين.

ومثل آخر من فرط حلمه وكرمه أنه إبان أن كان مستشاراً للناصر قلاوون، وكان يستنصحه في كثير من أمور العلماء وتعيينهم في مناصبهم فيروى أنه أُحضر إليه شيخ من شيوخ الباطنية الذين سموا بالحشاشين أولئك الذين كانوا شوكة في جنب الدولة الإسلامية وخنجراً مسموماً قاتلاً في قلبها أثناء حكم صلاح الدين ودولة الأيوبيين الذي حملوا أثقال ردع الصليبيين، فوجد ابن تيمية رحمه الله هذا الشيخ قد استطال شعره، وترك أظفاره، وأرسل شاربه، فقص شعره، وحف شاربه وقلم أظفاره، واستتابه من كلام الفحش في الصحابة

وعامة المؤمنين، وأخذ ما يغير العقل من الحشيشة وسائر المحرمات، وأخذ عليه وثيقة بألا يتكلم في تعبير الأحلام وغيرها مما يؤثر به على العامة[1].

وإن المرء الذي يفترى عليه مثل ابن تيمية وهو بريء من أي اتهام وما كان لمثله أن يكون ظنيناً بحال فهو مكذوب عليه، ومع هذا وبالرغم من كل ما عانى منه فإنه كان فسيح الصدر، واسع الحلم تأمل قول ابن كثير من تاريخه المشهور: «وفي شوال منها شكى الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقي الدين، وكلموه في ابن عربي وغيره إلى الدولة، فردوا الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي، فعقد له مجلس، وادعى عليه ابن عطاء الله السكندري بأشياء فلم يثبت عليه منها شيء، لكنه قال: لا يستغاث إلا بالله، لا يستغاث بالنبي استغاثة بمعنى العبادة، ولكن يتوسل به ويستشفع به إلى الله، فبعض الحاضرين قال: ليس عليه في هذا شيء، ورأى القاضي بدر الدين بن جماعة[2] أن هذا فيه قلة أدب»[3].

ثم عقد للشيخ بعد ذلك مجلس بالصالحية، ثم نزل بالقاهرة بدار ابن شقير، وأكب الناس على الاجتماع به ليلاً ونهاراً[4].

ونستنبط من هاتين الروايتين لابن كثير أن ابن تيمية كان رجلاً قوياً مهيب الجانب لكنه مغضوب عليه من طائفة، ولكن هذا لم يمنع إعجاب الآخرين به، حتى الذين حاجوه أنفسهم كانوا يقدرون علمه في قرارة أنفسهم.

وأعلى درجات السماحة والندى والكرامة إنما هو العفو والصفح عمن

---

(١) راجع تفاصيل هذه القصة في البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٣٣، ٣٤) ط. دار الفكر العربي.

(٢) القاضي بدر الدين بن جماعة، وهو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين أبو عبد الله، قاض من علماء الحديث وسائر علوم الدين، ولد في حماة سنة ٦٣٩ هـ، وولي القضاء بمصر ثم بالشام، ثم قضاء مصر وتوفي بمصر سنة ٧٣٣ هـ. راجع فوات الوفيات (٢/١٧٤) والنجوم الزاهرة (٩/٢٩٨) والدرر الكامنة (٣/٢٨٠) ودار الكتب (٥/٥٣٥).

(٣) البداية والنهاية (١٤/٤٥) ط. دار الفكر العربي.

(٤) المرجع السابق (١٤/٤٦) بتصرف.

ظلم، فالقصاص عدلٌ والتجاوز فضل، وابن تيمية قد بلغ درجة راقية من الفضل والفضيلة شهد له بها معاصروه.

عاد الشيخ إلى القاهرة فوصل في اليوم الثامن من شوال سنة ٧٠٩ هـ وأكرمه وقتذاك الناصر المتربع على عرش مصر وهو الذي دعاه إليها، فاتخذ الشيخ مقراً على مقربة من المشهد الحسيني، ثم انصرف للعلم انصرافاً مطلقاً، وجاء إليه الذين أساءوا إليه يعتذرون فقال في كلمة لا استثناء فيها:ـ

«كل من آذاني فهو اليوم في حل من جهتي»[(١)].

ليس هذا فحسب إنما ثمة موقف يدل لنا بلا ريب على تمكن النزعات الإنسانية في تركيب ابن تيمية، وخلوه من الحقد وغريزة الانتقام مما يؤكد لنا أن نفسه النقية كانت مفطورة على الخير مطبوعة على الحق الذي يجعلها تتحرج من أن تغضب الله في أي شيء، وهذا الموقف هو أن الملك الناصر لما استقر به الأمر واستتب له الملك، أراد أن ينتقم من العلماء والقضاة الذين مالئوا خصمه عليه، وهم أنفسهم الذين حكموا عليه بالحبس وإيداعه السجن في المحنة الأولى، وبقي بسبب حيفهم[(٢)] وضيمهم له ثمانية عشر شهراً في السجن، فاستفتى الناصر بن تيمية في ذلك، فإذا بالشيخ التقي النقي الورع يفتي بأن دماءهم حرامٌ عليه، وأنه لا يحل إنزال الأذى بهم ، فقال له السلطان: إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مراراً ، فقال الشيخ الفاضل الكريم : « من آذاني فهو في حل مني، ومن آذى الله ورسوله ، فالله ينتقم منه ، ولا أنتصر لنفسي »[(١)].

ولم يكتف ابن تيمية بهذا العفو الشخصي ، إنما طالب الناصر بالعفو عنهم فكان يقول له : ـ « إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم أمثالهم » وما زال به حتى عفا عنهم.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٥٤) بتصرف، وقد قال عنه قاضي المالكية ابن مخلوف: «ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا» اهـ.

(٢) الحيف والضيم : كلاهما بمعنى الظلم.

(٣) البداية والنهاية (١٤/ ٥٤) بتصرف.

هذه هي النفس الكريمة التي تقابل الإساءة بالإحسان ، فتكبح شرة النفس ، وتكبت غريزة الغضب وهذا أطهر وأنقى للنفس ، لقوله تعالى : ـ ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ وقد انتقل رحمه الله إلى دار الكرامة ليستريح فيها من عناء الفانية فقد أفضى إلى ربه بصفحة من أنصع الصفحات حافلة بجلائل المواقف الشجاعة.

وقد تفطرت القلوب حزناً عليه، ووصف ابن كثير في تاريخه المشهور[١] جنازته فأسهب فيها لأن مشاهدها تنم عن عرفان بالفضل والجميل لهذه الأمة في هذا الرجل.

وحم الله ابن تيمية وجزاه عن الاسلام وعن التوحيد خيراً.

---

(١) المرجع السابق (١٣٥/١٤) وما تلاها

ابن عطاء الله السكندري[1]

هو الشيخ الإمام العالم أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسيني بن عطاء الله، الجذامي نسباً، المالكي مذهباً، الاسكندري داراً، القاهري مزاراً، توفي بالقاهرة سنة سبعمائة وتسع في جمادي الآخرة وكان أعجوبة زمانه في التصوف[2].

وقد تتلمذ ابن عطاء الله السكندري على الإمام أبي العباس المرسي، وأخذ العهد عليه ـ كما هو المعروف بين الصوفية ـ وقد قال الشاذلي عن أبي العباس المرسي هذا: «إنه أعلم بطرق السماء منه بطرق الأرض».

وإن كنا لا نقبل هذا القول أو نرفضه لأنه يرتفع عن مستوى البشر، ويخلع عليهم من النعوت ما لا يصدقه عقل أريب إلّا أننا أوردناه للعلم وأمانة النقل.

وقد اشتهر ابن عطاء الله بالورع والتقوى كما وصفه بذلك معاصروه وأهل

---

(١) راجع ترجمته في الدرر الكامنة (١/٢٧٣) وكشف الظنون (٦٧٥) وخطط مبارك (٧/٦٩) وفيه توفي سنة ٧٠٧ هـ. وبروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية (١/٢٤٠).

(٢) راجع مقدمة (لطائف المنن) بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود.

زمانه ، كما ذاع صيته بالعلم بالغزير والثقافة الواعية المستنيرة، فكان جديراً بلقب ابن عطاء الله فقيه الاسكندرية ومن كتبه القيمة الحكم العطائية ، وتاج العروس .

مراجع الكتاب

القرآن الكريم .

١ ـ **الإبداع في مضار الإبتداع** ، للشيخ علي محفوظ ـ ط . الاعتصام بمصر سنة ١٩٧٨ م . ط . ثانية .

٢ ـ **أساس البلاغة** ، للزمخشري ـ ط . الشعب بمصر سنة ١٩٦٠ م .

٣ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** ، لابن حجر العسقلاني ط . مصر سنة ١٩٣٩ م .

٤ ـ **الإعلام** ، لخير الدين الزركلي ـ ط . العربية سنة ١٣٤٧ هـ .

٥ ـ **أنوار التنزيل** ، للبيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ .

٦ ـ **البداية والنهاية** ، لابن كثير ـ ط . مصر سنة ١٣٥٨ هـ . و ط . دار الفكر العربي (بدون تاريخ) .

٧ ـ **تاريخ آداب العرب** ، للرافعي ـ ط . مصر سنة ١٣٣٢ هـ .

٨ ـ **جامع البيان** ، للطبري ـ المتوفى سنة ٣١٠ هـ . ط . دار الفكر العربي سنة ١٩٧٨ م .

٩ ـ **الجامع الصغير** ، للسيوطي ـ ط . العلمية سنة ١٩٥٤ م .

١٠ ـ **حلية الأولياء** ، لأبي نعيم الأصبهاني ـ ط . مصر سنة ١٣٥١ هـ .

١١ ـ دائرة المعارف الإسلامية ، ط . مصر سنة ١٩٥٧ م .

١٢ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن قيم الجوزية ـ مؤسسة الرسالة بيروت ط . سنة ١٩٨١ م .

١٣ ـ صفة الصفوة ، لابن الجوزي ـ ط . حيدرآباد سنة ١٣٥٥ هـ .

١٤ ـ صفوة التفاسير ، للصابوني ـ ط . مكتبة الغزالي ـ دمشق بيروت سنة ١٣٩٩ هـ .

١٥ ـ طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى ـ ط . الفقي بمصر سنة ١٩٥٢ م .

١٦ ـ طبقات الخواص ، للزبيدي ـ ط . مصر سنة ١٣٢١ هـ .

١٧ ـ طبقات الشاذلية الكبرى ، للحسن بن محمد الكوهن الفارسي ـ ط . مصر سنة ١٣٤٧ هـ .

١٨ ـ طبقات الشافعية ، لتاج الدين السبكي ـ ط . مصر سنة ١٣٢٤ هـ .

١٩ ـ طبقات الشعراني ، الكبري ـ ط . مصر سنة ١٣٤٣ هـ .

٢٠ ـ طبقات الصوفية ، لأبي عبدالرحمن السلمي ـ ط . مصر سنة ١٩٥٣ م .

٢١ ـ طبقات الفقهاء ، للشيرازي ، المتوفى سنة ٤٧٦ هـ . ط . بغداد .

٢٢ ـ طبقات الفقهاء الحنفية ، لطاش كيري زادة ـ ط . الموصل سنة ١٩٥٤ م .

٢٣ ـ الفرق بين الفرق ، للبغدادي ـ بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد .

٢٤ ـ الفهرست ، لأبي جعفر الطوسي ـ ط . النجف سنة ١٣٥٦ هـ .

٢٥ ـ فوات الوفيات ، لابن شاكر الكبتي ـ ط . مصر سنة ١٢٩٩ هـ .

٢٦ ـ القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ـ ط . مصر سنة ١٣٣٠ هـ .

٢٧ ـ لسان العرب ، لابن منظور ـ ط . بولاق سنة ١٣٠٨ هـ .

٢٨ ـ لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني ـ ط . حيدرآباد سنة ١٣٣١ هـ .

٢٩ ـ **لماذا يلحدون ؟** ، للسيد الجميلي ـ ط . دار الكتاب العربي بيروت لبنان سنة ١٩٨٤ م .

٣٠ ـ **مختار الصحاح** ، لأبي بكر الرازي ـ ط . دار القلم بيروت بدون تاريخ .

٣١ ـ **مفاتيح الغيب** ، للرازي .

٣٢ ـ **الملل والنحل** ، للشهرستاني ـ هامش الفصل لابن حرم سنة ١٣٢٠ هـ .

٣٣ ـ **مناقب الإمام أحمد** بن حنبل ، لابن الجوزي ـ ط . مصر سنة ١٣٤٩ هـ .

٣٤ ـ **منهاج السنة** ، لابن تيمية ـ ط . بولاق سنة ١٣٢١ هـ .

٣٥ ـ **نيل الأوطار** ، للشوكاني ـ ط . التوفيقية بمصر .

٣٦ ـ **الوافي بالوفيات** ، للصفدي ـ ط . استنبول سنة ١٩٣١ م .

٣٧ ـ **وفيات الأعيان** ، لابن خلكان ـ ط . مصر سنة ١٣١٠ هـ . وأخرى بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد .

المحتويات



مناظرات ابن تيمية
مع فقهاء عصره

رقم الايداع 332 - 310 ـ 9 ـ 4 ـ 88

